

www.kotobarabia.com
أبو بكر الصديق
أول الخلفاء الراشدين
www.kotobarabia.com
المؤرخ محمد رضا

أبو بكر الصديق

أول الخلفاء الراشدين

للمؤرخ

محمد رضا

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمة

-أحمد اللّه وأستغفره على نعمائه الجمة وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، وأستغفره من كبائر الذنوب وصغائرها، وأسأله الهداية والتوفيق .وأصلي وأسلم على محمد رسـول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

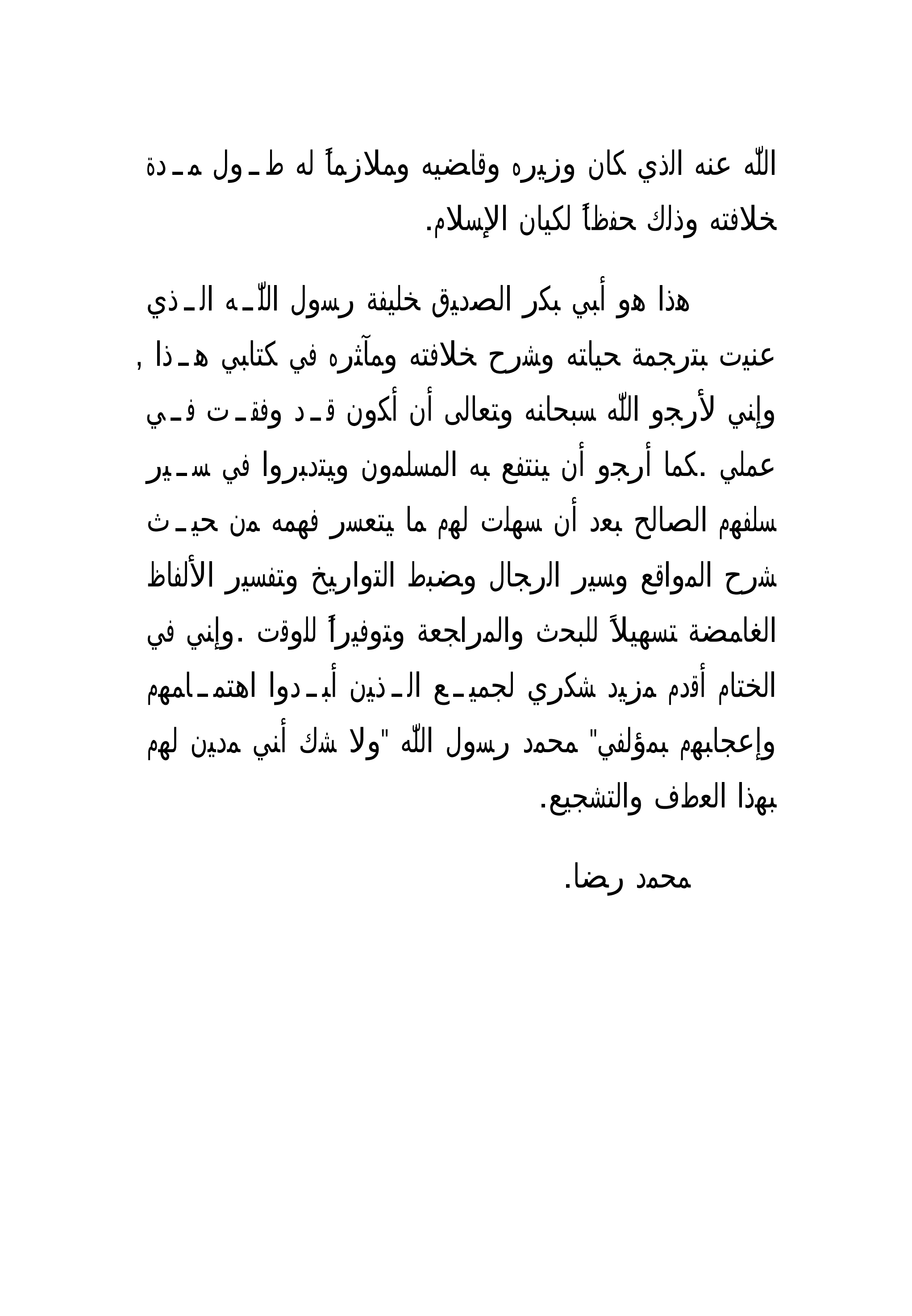
أما بعد فقد كنت شديد الرغبة في تأليف سيرة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لنشرها علـى العـالم الإسـلامي فقضيت الأيام والليالي الطوال في الإطلاع والبحث في كتب السير فجمعت شتاتها وشرحت الغـامض منهـا وحققـت الروايات وأثبت تواريخ الوقائع ورددت على الاعتراضـات والترهات ردوداً مدعمة بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة، فجاء الكتاب وافياً بغرضي من حيث إيصـال المعلومـات الصحيحة إلى العالم الإسلامي .ولما فرغ طبعه، تلقاه الناس بالقبول والاستحسان وأقبلوا على مطالعته بشوق وشـغف، ونال بحمد اللّه وفضله رضا العامة والخاصة وتواردت علي رسائل التقريظ والتشجيع من الكبراء والعلماء والأدباء حتى

عجزت عن شكرهم على ثقتهم بشخصي العاجز الضعيف، وشعرت بقوة تدفعني إلى مواصلة البحث والتأليف بـالرغم من كثرة المشاغل الدنيوية .وقد سألني كثير من الأصـدقاء الأعزاء أن أتبع سيرة رسول اللّه بسير الخلفاء بنفس الطريقة التي انتهجتها فسرتني فكرتهم ولم يسعني إلا إجابة طلـبهم واستخرت اللّه تعالى أن أكتب سيرة أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه فإنه أول الخلفاء الذين أمرنا رسول اللّه بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم.

لما توفي النبي صلى اللّه عليه وسلم ارتجت العرب واختلف المسلمون ولا سيما الأنصـار والمهـاجرون فـي الخلافة فتدارك الأمر أبو بكر بحكمته وسرعة بديهته وتمت له البيعة بالإجماع .وقد برهن رضي اللّه عنه أنه أكفأ رجل وأنه رجل الساعة وقتئذ لأن العرب عندما سـمعوا بوفـاة رسول اللّه ارتد كثير منهم واستفحل أمر المرتدين في جزيرة العرب، وظهر المتنبئون وجمعوا جيوشهم وثـاروا علـى المسلمين .فمنهم من خرج عن الإسلام، ومنهم من منع الزكاة ووضع الصلاة وأباح المحرمات وطرد كثيراً من الـولاة، ولولا شدة تمسك أبي بكر بسنة رسول اللّه وقـوة عزيمتـه

وشجاعته لتغلب المرتدون وقضوا على الإسلام قضاء مبرماً .
ولقد هال أمر المرتدين في بادئ الأمر كبراء الصحابة، ولكن أبا بكر ثبت ولم يتزعزع وظهرت كفايته في إرسال الجيوش واختيار القواد والولاة إلى جميع أنحاء جزيرة العرب، فكبح جماح المرتدين وهزمهم شر هزيمة واستتب الأمن في البلاد في أقل من سنة .ولم يقتصر على ذلك بل بعث الجيوش إلى العراق والشام فانهزمت الفرس والروم ومن والاهمـا مـن العرب .وقد تم ذلك كله في مدة خلافته وهي سنتان وأشهر، ولا شك أن هذه مدة قصيرة بالنسبة إلى ما تم في خلالها من جلائل الأعمال، وقد مهد بذلك طريق الفتوحات الإسـلامية لمن جاء بعد من الخلفاء واتضحت بذلك حكمة رسول اللّـه في اختيار أبي بكر بعده.

وقد كان رضي اللّه عنه مع ذلـك لطيفـاً وديعـاً متواضعاً زاهداً في الدنيا متقشفاً عادلاً غير طامع في ملك أو غنى، بل كان كل همه نشر الإسلام وتوطيد أركانه واتبـاع سنة رسول اللّه .وقد كان مؤلفاً لقلوب المسـلمين .وعلـى العموم كان خير قدوة لهم في دينهم ودنياهم .وقد اختار لهم خير من يصلح للخلافة بعده وهو عمر بن الخطاب رضـي



اللّه عنه الذي كان وزيره وقاضيه وملازماً له طـول مـدة خلافته وذلك حفظاً لكيان الإسلام.

هذا هو أبي بكر الصديق خليفة رسول اللّـه الـذي عنيت بترجمة حياته وشرح خلافته ومآثره في كتابي هـذا , وإني لأرجو اللّه سبحانه وتعالى أن أكون قـد وفقـت فـي عملي .كما أرجو أن ينتفع به المسلمون ويتدبروا في سـير سلفهم الصالح بعد أن سهلت لهم ما يتعسر فهمه من حيـث شرح المواقع وسير الرجال وضبط التواريخ وتفسير الألفاظ الغامضة تسهيلاً للبحث والمراجعة وتوفيراً للوقت .وإني في الختام أقدم مزيد شكري لجميـع الـذين أبـدوا اهتمـامهم وإعجابهم بمؤلفي" محمد رسول اللّه "ولا شك أني مدين لهم بهذا العطف والتشجيع.

محمد رضا.

ترجمة حياة أبو بكر الصديق رضي الله عنه

-هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمـرو بـن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لـؤي القرشـي التيمي .يلتقي مع رسول الله في مرة بن كعب .أبـو بكـر الصديق بن أبي قحافة .واسم أبي قحافة عثمـان .وأمـه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تـيم بن مرة، وهي ابنة عم أبي قحافة.

أسلم أبو بكر ثم أسلمت أمه بعده، وصحب رسـول الله صلى الله عليه وسلم .قال العلماء :لا يعـرف أربعـة متناسلون بعضهم من بعض صحبوا رسول الله، إلا آل أبي بكر الصديق وهم :عبد الله بن الزبير، أمه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة .فهؤلاء الأربعة صحابة متناسلون .وأيضا أبو عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهم.

ولقب عتيقاً لعتقه من النار وقيل لحسن وجهه .وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(أبو بكر عتيق من النار (فمن يومئذ سـمي عتيقـا)

وقيل سمي عتيقا لأنه لم يكن في نسبه شـيء يعـاب بـه . وأجمعت الأمة على تسميته صديقاً .قال علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه :(إن اللّه تعالى هو الذي سمى أبا بكر على لسان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم صديقا) وسبب تسميته أنه بادر إلى تصديق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولازم الصدق فلم تقع منه هنات ولا كذبة في حال من الأحـوال . وعن عائشة أنها قالت :

(لما أسري بالنبي صلى اللّه عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان آمن وصدق به وفتنوا به .فقال أبو بكر :إني لأصدقه في ما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء غدوة وروحة، فلذلك سمي أبا بكر الصديق)

وقال أبو محجن الثقفي:

وسميت صديقا وكل مهاجر ** سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت إلى الإسلام واللّه شاهد ** وكنت جليسا في العريش المشهر

ولد أبو بكر سنة ٥٧٣ م بعد الفيل بـثلاث سـنين تقريبا، وكان رضي اللّه عنه صديقا لرسول اللّه قبل البعث وهو أصغر منه سنا بثلاث سنوات وكان يكثر غشيانه فـي منزله ومحادثته .وقيل كنى بأبي بكر لابتكـاره الخصـال الحميدة .فلما أسلم آزر النبي صلى اللّه عليه وسلم في نصر دين اللّه تعالى بنفسه وماله .وكان له لمـا أسـلم ٤٠,٠٠٠ درهم أنفقها في سبيل اللّه مع ما كسب من التجارة.

(قال تعالى) وسيجنبها الأَتْقَى* الذِي يؤْتِي مالَه يتَزكى وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى .الليل ١٩-١٧

وقد أجمع المفسرون على أن المراد به أبو بكر .وقد رد الفخر الرازي على من قال إنها نزلت في حـق علـي رضي اللّه عنه.

كان أبو بكر رضي اللّه عنه من رؤساء قريش في الجاهلية محببا فيهم مؤلفا لهم، وكان إليه الأشـناق[(١)] فـي الجاهلية .كان إذا عمل شيئاً صدقته قريش، وأمضوا حمالته وحمالة من قام معه، وإن احتملتها غيره خذلوه ولم يصدقوه .

[(١)] الأشناق :الديات، ج شَنَق.

فلما جاء الإسلام سبق إليه، وأسلم من الصحابة بدعائه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم :عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد اللّه، وأسلم أبواه وولداه وولـد ولـده مـن الصحابة فجاء بالخمسة الذين أسلموا بدعائه إلى رسول اللّه فأسلموا وصلوا.

وقد ذهب جماعة إلى أنه أول من أسلم؛ قال الشعبي : سألت ابن عباس من أول من أسلم؟ قال :أبو بكر،أما سمعت حسان يقول :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ** فاذكر أخاك أبـا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ** بعد النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده ** وأول الناس قدما صدق الرسلا

وكان أعلم العرب بأنساب قريش وما كان فيها مـن

خير وشر .وكان تاجرا ذو ثروة طائلة، حسـن المجالسـة، عالما بتعبير الرؤيا، وقد حرم الخمر على نفسه في الجاهلية هو وعثمان بن عفان .ولما أسلم جعل يـدعو النـاس إلـى الإسلام قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر رضي اللّه عنه ما علم عنه حين ذكرته له (أي أنه بادر إليه .ونزل فيه وفي عمر} وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ (آل عمران ١٥٩) فكان أبو بكر بمنزلة الوزير من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فكان يشاوره في أموره كلها.

وقد أصاب أبا بكر من إيذاء قريش شئ كثير .فمن ذلك أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لما دخل دار الأرقم ليعبد اللّه ومن معه من أصحابه سرا ألح أبو بكر رضي اللّه عنه في الظهور، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم يا أبا بكر إنا قليل .فلم يزل به حتى خرج رسول اللّه صلى اللّه عليـه وسلم ومن معه من الصحابة رضي اللّه عنهم وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم جـالس ودعا إلى رسول اللّه، فهو أول خطيب دعا إلى اللّه تعـالى فثار المشركون على أبي بكر رضـي اللّـه عنـه وعلـى

المسلمين يضربونهم فضربوهم ضرباً شديداً .ووطئ أبو بكر بالأرجل وضرب ضربا شديدا .وصار عتبـة بـن ربيعـة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين ويحرفهما إلى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه، فجاءت بنو تـيم يتعـادون فأجلت المشركين عن أبي بكر إلى أن أدخلـوه منزلـه ولا يشكون في موته، ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا :واللّه لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة، ثم رجعوا إلى أبي بكر وصـار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى آخر النهار، ثم تكلم وقال :ما فعل رسول اللّه صلى اللّه عليـه وسـلم؟ فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه :واللّـه مـا لـي علـم بصاحبك .فقال اذهبي إلى أم جميل فاسأليها عنه وخرجـت إليها وسألتها عن محمد بن عبد اللّه، فقالت :لا أعرف محمداً ولا أبا بكر ثم قالت :تريدين أن أخرج معك؟ قالـت :نعـم . فخرجت معها إلى أن جاءت أبا بكر فوجدته صريعا فصاحت وقالت :إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وإني لأرجـو أن ينتقم اللّه منهم، فقال لها أبو بكر رضي اللّه عنه :ما فعـل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؟ فقالت :هذه أمك، قال فلا عين عليك منها أي أنها لا تفشي سرك .قالت :سالم هو في

دار الأرقم .فقال :واللّه لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .قالت أمه فأمهلناه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ علـي حتـى دخل على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فرق لـه رقـة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه ما بي من بأس إلا ما نال الناس من وجهي، وهذه أمي برة بولدها فعسى اللّه أن يستنقذها مـن النار، فدعا لها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ودعاها إلى الإسلام فأسلمت[٢]

ولما اشتد أذى كفار قريش لم يهاجر أبو بكر إلـى الحبشة مع المسلمين بل بقي مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تاركا عياله وأولاده وأقام معه في الغار ثلاثة أيام؛ قال اللّه تعالى} ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصـاحبه لا تحزن إن اللّه معنا .{التوبة٤١

ولما كانت الهجرة جاء رسول اللّه صلى اللّه عليـه إلى أبي بكر وهو نائم فأيقظه، فقال رسول اللّه صلى اللّـه

---

[٢] راجع السيرة الحلبية.

عليه وسلم :قد أذن لي في الخروج قالت عائشة :فلقد رأيت أبا بكر يبكي من الفرح، ثم خرجا حتى دخلا الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام[٣] وأن رسول اللّه لولا ثقته التامة بأبي بكر لمـا صاحبه في هجرته فاستخلصه لنفسه .وكل من سوى أبي بكر فارق رسول اللّه، وإن اللّه تعالى سماه ثاني اثنين)

قال رسول صلى اللّه عليه وسلم لحسان بن ثابـت : هل قلت في أبي بكر شيئا؟ فقال :نعم .فقال :قل وأنا أسمع . فقال:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ** طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حِب رسول اللّه قد علموا ** من البرية لـم يعدل به رجلا

فضحك رسول اللّه حتى بدت نواجـذه، ثـم قـال : صدقت يا حسان هو كما قلت.

وكان النبي صلى اللّه عليه وسلم يكرمه ويجله ويثني

---

[٣] راجع" الهجرة إلى المدينة "في كتاب محمد رسول اللّه للمؤلف صفحة.١٥٤

عليه في وجهه واستخلفه في الصلاة، وشهد مع رسول اللّه بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان بالحديبية وخيبر وفتح مكة وحنينا والطائف وتبوك وحجة الوداع .ودفع رسول اللّه رايته العظمى يوم تبوك إلى أبي بكر وكانت سوداء، وكان فيمن ثبت معه يوم أحدا وحين ولى الناس يوم حنين .وهـو من كبار الصحابة الذين حفظوا القرآن كله .ودفع أبو بكـر عقبة بن معيط عن رسول اللّه لما خنق رسول اللّـه وهـو يصلي عند الكعبة خنقا شديدا .وقال} أَتَقْتُلُون رجلاً َأن يقُولَ ربي اللّه وقَد جاءكُم بِالْبينَاتِ مِن ربكُم .{المؤمن٢٨

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :(لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) رواه البخاري ومسلم

وأعتق أبو بكر سبعة ممن كانوا يعذبون فـي اللّـه وهم :بلال وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والنهديـة، وابنتهـا، وجارية بني مؤمل، وأم عبيس .وكان أبو بكر إذا مدح قال : (اللّهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم .اللّهـم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لـي مـا لا يعلمـون ولا تؤاخذني بما يقولون)

قال عمر رضي اللّه عنه :أمرنا رسول اللّه صـلى اللّه عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك مالا عندي .فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته، فجئت بنصف مالي .فقال :ما أبقيت لأهلك؟ قلت مثله .وجاء أبو بكر بكل ما عنده .فقال :يا أبـا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال :أبقيت لهم اللّه ورسوله .قلت :لا أسبقه إلى شئ أبدا .

روي لأبي بكر رضي اللّه عنه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ١٤٢ حديثا اتفق البخاري ومسلم منها علـى ستة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحـديث واحـد . وسبب قلة رواياته مع تقدم صحبته وملازمته النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتنـاء التابعين بسماعها، وتحصيلها، وحفظها.

بعض الأحاديث المصرحة بفضل أبي بكر

-عن عمرو بن العاص :أن النبي عليه السلام بعثه على جيش ذات السلاسل قال :فأتيته فقلت :أي الناس أحـب إليك؟ فقال :عائشة .فقلت :من الرجال؟ فقال :أبوها .فقلت ثم من؟ قال :عمر بن الخطاب .فعد رجـالا .رواه البخـاري ومسلم.

وعن ابن عمر قال :قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :(من جر ثوبه خيلاء لم ينظر اللّه إليه يـوم القيامـة (فقال أبو بكر :إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهـد ذلك منه فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (إنك لسـت تصنع ذلك خيلاء (رواه البخاري)

وعن أبي هريرة :(قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :(من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر :أنا .قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر :أنا .قال :فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر :أنا .قال :فمن عاد مـنكم اليوم مريضا؟ قال أبو بكر :أنا .فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :ما اجتمعن في امرئ إلا ودخـل الجنـة (رواه

مسلم.

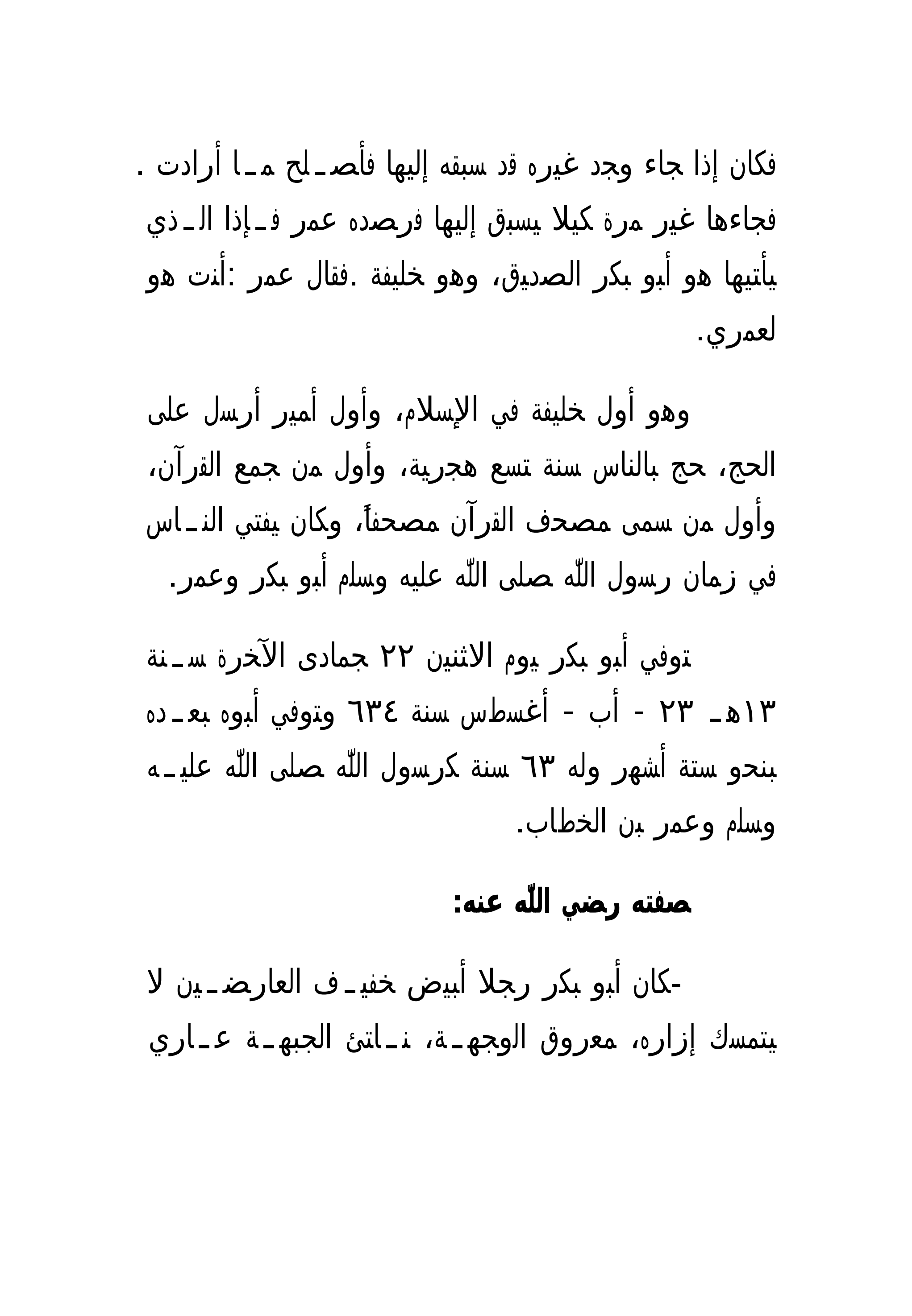
وهن أبي هريرة :أن رسول اللّه صلى اللّـه عليـه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير .فتحركت الصخرة فقال النبي عليه السلام : اهدأ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد (رواه مسلم)

وعن حذيفة قال :قال رسول اللّه صلى اللّـه عليـه وسلم (اقتدوا باللذَين من بعـدي أبـي بكـر وعمـر (رواه الترمذي.

وعن ابن عمر :أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال لأبي بكر (أنت صاحبي على الحوض وصـاحبي فـي الغار (رواه الترمذي وعن أبي هريرة قال :قال رسول اللّه عليه وسلم (ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكـر فبكى أبو بكر وقال :وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول اللّه .

ومن فضائله رضي اللّه عنه:

أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيستقي لها ويقوم بأمرها .



فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت . فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا الذي يأتيها هو أبو بكر الصديق، وهو خليفة .فقال عمر :أنت هو لعمري.

وهو أول خليفة في الإسلام، وأول أمير أرسل على الحج، حج بالناس سنة تسع هجرية، وأول من جمع القرآن، وأول من سمى مصحف القرآن مصحفاً، وكان يفتي الناس في زمان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أبو بكر وعمر.

توفي أبو بكر يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ ٢٣ - أب - أغسطس سنة ٦٣٤ وتوفي أبوه بعده بنحو ستة أشهر وله ٦٣ سنة كرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وعمر بن الخطاب.

صفته رضي اللّه عنه:

-كان أبو بكر رجلا أبيض خفيف العارضين لا يتمسك إزاره، معروق الوجهة، ناتئ الجبهة عاري

الأشاجع[٤] أَقْنَى[٥] غائر العينين حمش الساقين[٦] ممحوص الفخذين[٧] يخضب بالحِناء والكَتَم[٨] .

---

[٤] الأشاجع هي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف .وقيل هي عروق ظاهر الكف.

[٥] أي ارتفع أنفه واحدودب وسطه وسبغ طرفه وقيل نتأ وسط قصبته وضاق منخراه فهو أقنى.

[٦] دقيقهما.

[٧] أي خالص من الاسترخاء.

[٨] الكتم من نبات الجبال ورقه كورق الآس يخضب به مدقوقاً وله ثمر كقدر الفلفل ويسود إذا نضج.

زوجاته وأولاده.

(تزوج أبو بكر في الجاهلية (قتيلة بنت سعد (فولدت له عبد اللّه وأسماء .أما عبد اللّه فإنه شهد يوم الطائف مـع النبي صلى اللّه عليه وسلم وبقي إلى خلافة أبيه، ومات في خلافته وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر .وولد لعبد اللّه اسماعيل فمات ولا عقـب لـه .وأمـا أسـماء فهـي ذات النطاقين،و هي التي قطعت قطعة من نطاقها فربطت به على فم السفرة في الجراب التي صنعت لرسول اللّه، وأبي بكـر عند قيامها بالهجرة وبذلك سميت (ذات النطاقين (وهي أسن من عائشة .وكانت أسماء أشجع نساء الإسـلام، وأثبـتهن جأشا، وأعظمهن تربية للولد على الشهامة، وعزة الـنفس، تزوجها الزبير بمكة فولدت له عدة أولاد، ثم طلقها فكانـت مع ابنها عبد اللّه بن الزبير حتى قتل بمكة، وعاشت مائـة سنة حتى عميت، وماتت.

(وتزوج أبو بكر أيضا في الجاهليـة (أم رومـان فولدت له عبد الرحمن، وعائشة زوجة رسول اللّه توفيت في حياة رسول اللّه في سنة ست من الهجرة فنزل رسول اللّـه

قبرها واستغفر لها، وكانت حية وقت حديث الإفك، وحديث الإفك في سنة ست فن شعبان، فعبد الرحمن شقيق عائشـة، شهد بدرا وأحدا مع الكفار، ودعا إلى البراز فقام إليه أبو بكر ليبارزه، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسـلم (متعنـا بنفسك (وكان شجاعاً رامياً، أسلم في هدنة الحديبية وحسـن إسلامه، شهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقتـل وهـو مـن أكابرهم، وهو الذي قتل محكم اليمامة بن الطفيل الذي كـان من قواد بني حنيفة المشهورين، رماه بسهم في نحره فقتله، كما سيأتي ذكر ذلك في موقعة اليمامة، .وكان عبد الرحمن أسن ولد أبي بكر وكان فيه دعابة .توفي فجأة بمكان اسـمه حبش على نحو عشرة أميال من مكة، وحمل إلى مكة ودفن فيها، وكان موته سنة ٥٣ هجرية.

(وتزوج أبو بكر في الإسلام (أسماء بنـت عمـيس وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب .فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه مصر فقاتلـه صاحب معاوية، وظفر به فقتله، وولد له القاسم.

(وتزوج أيضا في الإسلام (حبيبة بنت خارجة بـن

زيد بن أبي زهير الخزرجي (فولدت له جارية سمتها عائشة أم كلثوم .تزوجها طلحة بن عبيد اللّه فولدت لـه زكريـا، وعائشة، ثم قتل عنها فتزوجها عبد الرحمن بن عبيد اللّه بن أبي ربيعة المخزومي.

(قال الأستاذ واشنجتون إيرفنج في كتاب (محمـد وخلفاؤه:

كان أبو بكر رجلا عاقلا سديد الرأي وقد كان فـي بعض الأحيان شديد الحذر والحيطة في إدارته، لكنه كـان شريف الأغراض غير محـب لـلـذات، سـاعيا للخيـر لا لمصلحته الذاتية فلم يبتغ من وراء حكمه مطامع دنيوية بـل كان لا يهمه الغنى، زاهدا في الفخر، راغبا عن اللذات ولم يقبل أجرا على خدماته غير مبلغ زهيد يكفي لمعاش رجـل عربي عادي ما كان يرد إليه في يوم الجمعة إلى المحتاجين، والفقراء، ويساعد المعوزين بماله الخاص.

حديث السقيفة وبيعة أبي بكر الصديق.

(توفي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يوم الاثنين ١٢ربيع الأول من السنة الحادية عشرة مـن الهجـرة ٩)

حزيران يونيه سنة ٦٣٢ م (فهب الأنصار يطالبون بالخلافة قبل أن يدفن رسول اللّه مع أم المهاجرين لم يكونوا قد فكروا في الخلافة، بل كان كبار الصحابة مشغولين بتجهيز رسول اللّه ودفنه، وطمع سعد بن أبي عبادة في أن يكـون خليفـة ويكنى أبا ثابت، وكان نقيب بني سعادة والسيد المطاع فـي الخزرج.

اجتمع الأنصار في سقيفة بني سـاعدة[٩] وجـاؤوا بسعد بن أبي عبادة وهو مريض بالحمى ليبايعوه، وطلبـوا إليه أن يخطب .فقال لابنه أو بعض بني عمه :إني لا أقـدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي، ولكن تلق مني قـولي فأسمعهم، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع صوته فيسمع أصحابه.

---

[٩] سقيفة بني ساعدة بالمدينة وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها .أما بنـو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة فهم حي من الأنصار وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج وكانت دار سعد مما يلي سوق المدينة وعنـدها السقيفة.

خطبة سعد بن عبادة

-قال سعد بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه :

(يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب .إن محمدا عليه السلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل، مـا كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول اللّه، ولا أن يعزوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به، حتى إذا أراد بكم الفضيلة، ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة، فرزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز لـه ولدينـه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى اسـتقامة العرب لأمر اللّه طوعا وكرها، وأعطى البعيد المقادة صاغرا داخرا حتى أثخن اللّه عز وجل لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه اللّه وهو عنكم راض وبكم قرير عين استبدوا بالأمر دون الناس، فإنه لكم دون الناس[١٠]

---

[١٠]تاريخ الطبري الجزء الثالث.

هذه خطبة سعد بن عبـادة .فقـد كـان يـرى أن المهاجرين استبدوا بالأمر، وأن الأنصـار أحـق بالولايـة للأسباب التي ذكرها، مع أن المهاجرين لـم يكونـوا قـد اجتمعوا، ولم يتشاوروا في أمر الخلافة، ولم يقرروا شـيئا . ولا شك في أن هذه الخطبة حازت استحسان الأنصار، ولا سيما الخزرج، فأجابوا بأجمعهم أن قد وفقت فـي الـرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نوليك هـذا الأمـر فإنك فينا مقنع، ولصالح المؤمنين رضاً.

وطبيعي أن يحتج المهاجرون على هـذا الكـلام، . فقالوا :نحن المهاجرون وأصحاب رسول اللّـه الأولـون، وعشيرته وأولياؤه .فقال الأنصار :(منا أمير ومـنكم أميـر (ولن نرضى بدون هذا أبدا .فقال سعد :(هذا أول الوهن.

بلغ عمر بن الخطاب ما كان من خطبة سعد وما وقع من خلاف بين الأنصار الذين أثاروا هذا الموضوع وبـين المهاجرين، فجاء إلى منزل رسول اللّه؛ وأرسل إلى أبي بكر أن أخرج إلي فأرسل إليه أني مشتغل فأرسل إليه أنـه قـد

حدث أمر لا بد لك من حضوره .فخرج فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين إلى السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجـ ـراح، وأراد عمر رضي اللّه عنه أن يبدأ بالكلام، فأسكته أبو بكر قائلا : رويداً حتى أتكلم (ثم تكلم بكل ما أراد أن يقول عمر)

خطبة أبي بكر الصديق

-بدأ أبو بكر فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال:

(إن اللّه بعث محمدا رسولاً إلى خلقه، وشهيدا على أمته ليعبدوا اللّه ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة وإنما هي مـ ـن حجر منحوت، وخشب منجور .ثم قرأ} :ويعبدون مِن دون اللّه ما لاَ يضرهم ولاَ ينْفَعهم ويقُولُون هؤُلاَءِ شُفَعاؤُنَا عِنْـ ـد اللّه {يونس} ١٨ وقَالُوا ما نَعبدهم إِلا لَيقَربونَا إِلَى اللّه زلْفَـ ـى {الزمر .٣ فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص اللّه المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمـ ـان بـ ـه، والمواساة له، والصبر معه على شـ ـدة أذى قـ ـومهم لهـ ـم، وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف .زار علـ ـيهم، فلـ ـم

يستوحشوا لقلة عددهم، وشنف الناس لهم[١١] وإجماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد اللّه فـي الأرض، وآمـن باللّـه والرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من عبده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، أنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام . رضيكم اللّه أنصارا لدينه ولرسوله، وجعل إلـيكم هجرتـه وفيكم جلة أزواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولـين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الـوزراء، لا تُفْتـاتون بمشْورة، ولا تقضى دونكم الأمور.

---

[١١] بغض الناس لهم.

خطبة الحباب بن المنذر

-فقام الحباب بن المنذر بن الجمـوح الأنصـاري الخزرجي السلمي، ويكنى أبا عمر وكان يقال له ذو الرأي . فقال:

(يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم ولن يجتري مجترئ على خلافكـم، ولـن يصدر الناس إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز والثروة، وأولـو العدة والمنعة والتجربة، ذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد رأيكم، وينتقض علـيكم أمركم أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير)

ورد عمر بن الخطاب على الحباب فقال:

(هيهات لا يجتمع اثنان في قَرن[١٢] واللّه لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمرهم فيهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظـاهرة والسـلطان

[١٢]القرن :الجبل، ولا يقال للجبل قرن حتى يقرن فيه بعيران.

المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم[13] أو متورط في هلكة) فقام الحباب بن المنذر فقال :

(يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا علكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم واللّه أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسـيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا جذَيلها[14] المحكك

---

[13] متجانف لإثم :أي مائل متعمد.

[14] الجذل :أصل الشجرة، وعود ينصب لتحتك به الجربى من الإبـل فتستشفى به، والعذق :النخلة بحملها وقول الحباب" :أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب "مثل يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد عليه، أي قد جربتني الأمور ولي رأي وعلم يستشفى بهما كما تستشفى هذه الإبـل بهذه الجذل .وصغره على جهة المدح وصغر الغذق على جهة المـدح أو التعظيم .والترجيب :أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لـئلا تتكسـر أغصانها .وقيل ترجيبها هو أن يوضع الشوك حوالي الأعـذاق لـئلا يصل إليها فلا تسرق .وقد أراد بالترجيب التعظيم.

وعذَيقُها المرجب، أما واللّه لو شئتم لنعيدنها جذَعة)

لقد لج الحباب في الخصومة، واستعمل في خطبتـه ألفاظا شديدة وحرض الأنصار على إجلاء المهاجرين مـن المدينة إذا لم يولوهم الخلافة وتوعدهم بالشر لذلك قال لـه عمر محتدا، إذن يقتلك اللّه .قال :بل إياك يقتلك.

قال أبو عبيدة(:يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من غير وبدل)

وعندئذ قام بشير بن سعد بن ثعلبـة بـن الجـلاس الخزرجي الأنصاري، ويكنى أبا النعمان فقال :

(يا معشر الأنصار إنا واللّه كنا أولى فضـيلة فـي جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا، وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا .فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ألا إن محمدا صلى اللّه عليه وسلم مـن قريش وقومه به أحق وأولى، وايم اللّه لا يراني اللّه أنازعهم هذا الأمر أبدا فاتقوا اللّه ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم)

فأراد أبو بكر بحكمته أن يضع حدا لهـذا الخـلاف

خشية استحكامه فرشح للخلافة اثنين من المهاجرين قـائلا : (هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا)

فقالا :(لا واللّه لا نتولى هذا الأمر عليـك، فإنـك أفضل المهاجرين وثاني إثنين إذ هما في الغار وخليفة رسول اللّه على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك، أو يتولى هذا الأمر عليك أبسط يدك نبايعك) فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فهو على ذلك أول من بايع أبا بكر الصديق.

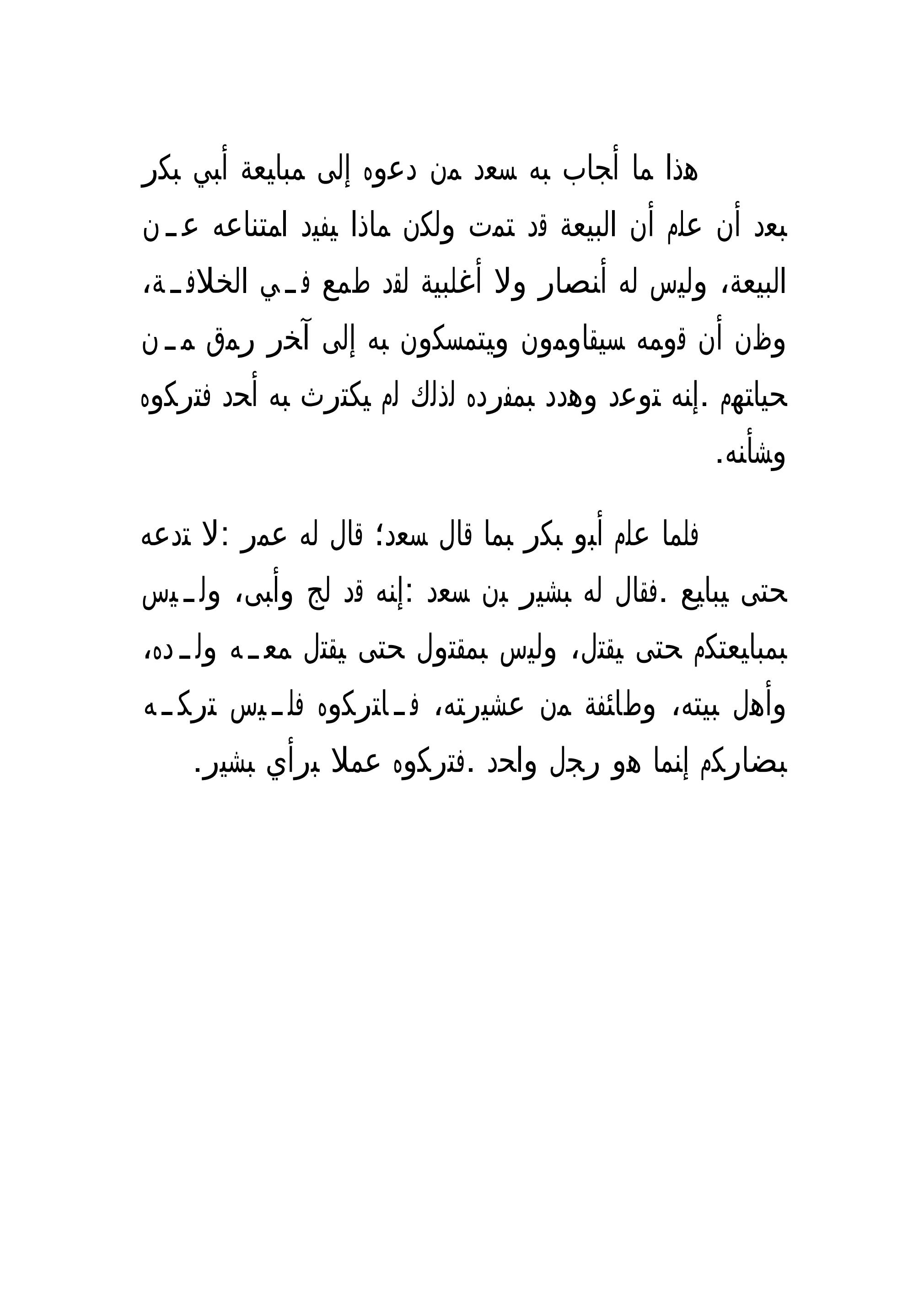
ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض وفيهم أُسيد بن حضير (الذي كـان رئـيس الأوس يوم بعاث ومن أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان أحد المشهود لهم بالعقل وأحد النقباء):

واللّه لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهـم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقاموا إليه فبايعوه، فأنكر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كـانوا أجمعواه له من أمرهم.

ولم يلق الرأي الذي قاله الأنصار (منا أمير ومـنكم أمير (قبولا حتى سعد نفسه فإنه لما سمع به قال): هذا أول الوهن (لأن انقسام القوة موهن لها،و كذا رفضه عمر حيث قال): هيهات لا يجتمع اثنان في قرن وأسرع عمر في مبايعة أبي بكر علما منه بمكانته واعترافا بفضله.

أقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب، وأقبلـت أسلم بجماعاتها حتى تضايقت بهم السكك فبايعوا فكان عمر يقول :(ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر (وكاد الناس من شدة الزحام يطأون سعد بن عبادة الـذي كـان يومئـذ مريضا ولا يستطيع النهوض، وحدثت بينه وبين عمر مشادة، وأخيرا حمل سعد وأدخل في داره وترك أياما ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال:

(أما واللّه حتى أرميكم بما في كنانتي مـن نبـل، وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكتـه يـدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي، فلا أفعل .وايم اللّه لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بـايعتكم حتـى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي)



هذا ما أجاب به سعد من دعوه إلى مبايعة أبي بكر بعد أن علم أن البيعة قد تمت ولكن ماذا يفيد امتناعه عـن البيعة، وليس له أنصار ولا أغلبية لقد طمع فـي الخلافـة، وظن أن قومه سيقاومون ويتمسكون به إلى آخر رمق مـن حياتهم .إنه توعد وهدد بمفرده لذلك لم يكترث به أحد فتركوه وشأنه.

فلما علم أبو بكر بما قال سعد؛ قال له عمر :لا تدعه حتى يبايع .فقال له بشير بن سعد :إنه قد لج وأبى، ولـيس بمبايعتكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معـه ولـده، وأهل بيته، وطائفة من عشيرته، فـاتركوه فلـيس تركـه بضاركم إنما هو رجل واحد .فتركوه عملا برأي بشير.

تخاف علي رضي اللّه عنه عن البيعة

-قال الزهري :(بقي علي وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة رضي اللّه عنها فبايعوه[١٥] وكانت فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول اللّه مما أفاء اللّه عليه بالمدينة وفَدك[١٦] وما بقي من خمس خيبر فأبى أبو بكر أن يدفع إليها شيئا؛ لأن رسول اللّه قال :(لا نُورثُ ما تركناه صدقة) فوجدت فاطمة على أبي بكر الصديق في ذلك ولم تكلمه حتى توفيت .

وقد كان علي رضي اللّه عنه يرى أنه أحق بالخلافة من أبي بكر لقرابته من رسول اللّه، لذلك فقد تخلف عن البيعة[١٧] مع أن رسول اللّه لما مرض وتعذر عليه الخروج

---

[١٥] أصح الأقوال أن فاطمة توفيت بعد رسول اللّه بستة أشهر.

[١٦] قرية بخيبر.

[١٧] وفي أسد الغابة رواية عن يحيى بن عروة المرادي؛ قال سمعت علياً رضي اللّه عنه يقول قُبض النبي صلى اللّه عليه وسلم وأنا أرى أني أحق بهذا الأمر .فاجتمع المسلمون على أبي بكر فسمعت وأطعت .ثم إن أبا بكر أصيب فظننت أنه لا يعدلها عني .فجعلها في عمر فسمعت وأطعت .ثم إن عمر أصيب فظننت أنه لا يعدلها عني فجعلها في ستة أنا أحدهم فولوها عثمان فسمعت وأطعت .ثم إن عثمان قتل فجاءوا فبايعوني طائعين غير مكرهين .الخ.

إلى الصلاة .قال مروا أبا بكر فليصل بالناس .فقالـت لـه عائشة :يا رسول اللّه إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال :مروا أبا بكر فليصل بالنـاس . فعاودته مثل مقولتها .فقال :إنكن صواحبات يوسف .مروا أبا بكر فليصل بالناس .وفي تقديمه أبا بكر إلى الصلاة إشـارة إلى أنه الخليفة بعده قال الزبير :لا أغمد سيفا حتـى يبـايع علي .فقال عمر :خذوا سيفه واضربوا به الحجر .ثم أتـاهم عمر فأخذهم للبيعة .وقيل لما سمع علي ببيعة أبي بكر خرج في قميصه ما عليه إزار، ولا رداء عجلا حتى يبايعـه ثـم استدعى إزاره ورداءه فتجلّله .قال ابن الأثير :والصحيح أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر.

وممن تخاف عن بيعة أبي بكر عتبة بن أبي لهـب، وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب وأبي بـن كعـب ومالوا مع علي، وتخلف أيضا أبو سفيان من بني أمية.

أفضل الناس بعد رسول اللّه

-أفضل الناس بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (أبو بكر) رضي اللّه عنه .وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة هو (علي) وهؤلاء جوزوا إمامة المفضـول مـع وجـود الفاضل .وحجتهم أن قيام علي بالجهاد كان أكثر من قيام أبي بكر فوجب أن يكون علي أفضل منه لقوله تعالى(وفَضلَ اللّه المجاهِدِين علَى الْقَاعِدِين َأجراً عظِيماً).

وأجاب أهل السنة عنه بأن الجهاد على قسمين :جهاد بالدعوة إلى الدين وجهاد بالسيف .ومعلوم أن أبا بكر رضي اللّه عنه جاهد في الدين في أول الإسلام بدعوة الناس إلـى الإسلام .وبدعوته أسلم عثمان، وطلحة، والزبيـر، وسـعد، وسعيد، وأبو عبيدة بن الجراح رضي اللّه عنهم أجمعـين . وعلي رضي اللّه عنه إنما جاهد بالسيف عند قوة الإسـلام، فكان الأول أولى، وحجة القائلين بفضل أبي بكر رضي اللّه عنه قوله صلى اللّه عليه وسلم :(ما طلعـت الشـمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضـل مـن أبـي

بكر[١٨]

تجهيز رسول اللّه ودفنه

-بعد أن بويع أبو بكر جهز رسول اللّه ودفن ليلـة الأربعاء وقد غسل في قميصه وغسله العباس، والفضل وقُثَم ابنا العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسـول اللّـه، وحضرهم أوس بن خَولى الأنصاري من بئر يقال لها الغَرس لسعد بن خثيمة بقباء، وكان العباس وابناه يقلبونه، وأسـامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله وعليه قميصـه، وهـو يقول (بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً) وكفن في ثلاثة أثواب يمانية[١٩] بيض من كرسف (قطن) ليس فـي كفنـه قميص ولا عمامة ولا عروة.

وبعد أن غسل رسول اللّه وكفن، وضع على سرير وأدخل عليه المسلمون أفواجا يقومون ويصلون عليـه، ثـم

---

[١٨]راجع كتاب معالم أصول الدين لفخر الدين محمد بن عمر الرازي - الباب العاشر في الإمامة - المسألة السابعة.

[١٩]وقيل :في ثلاثة أثواب سحولية .وسحول - مثل رسول - بلدة باليمن يجلب منها الثياب.

يخرجون ويدخل آخرون ولم يؤمهم في الصلاة عليه إمـام حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء ثم دخل الصبيان.

وكان أول من دخل أبو بكر وعمر .فقالا :(السـلام عليك أيها النبي ..ورحمة اللّه وبركاته) ومعهما نفر مـن المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت، فسلموا كما سلم أبو بكر، وعمر، وصفوا صفوفا لا يؤمهم عليه أحد فقال أبو بكر وعمر وهما في الصف الأول حيال رسول اللّه :

(اللّهم إنا نشهد أن قد بلّغ ما أنزل عليه ونصح لأمته، وجاهد في سبيل اللّه حتى أعز اللّه دينه، وتمت كلماته فآمن به وحده لا شريك له .فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفا رحيما .لا نبتغي بالإيمان بديلا، ولا نشتري به ثمنا أبدا)

فيقول الناس آمين آمين، ثم يخرجون ويدخل غيرهم . ولما فرغوا نادى عمر خلوا الجنازة وأهلها.

ولما اختلفوا في موضع دفنه قال أبو بكر :سـمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول(ما مات نبي قـط إلا

يدفن حيث تقبض روحه) قال علي :وأنا أيضا سمعته، فرفع فراشه ودفن .ولما أرادوا أن يحفروا لرسول اللّه كان بالمدينة رجلان أبو عبيدة بن الجراح يضرح لأهل مكة، وكان أبـو طلحة الأنصاري هو الذي يلحد لأهل المدينة .فجاء أبو طلحة وألحد لرسول اللّه، وجعل في قبره قطيفة حمراء كان يلبسها فبسطت تحته، وكانت الأرض ندية، ورش قبره صلى اللّـه عليه وسلم بلال بتربة بدا من قبل رأسه وجعل عليـه مـن حصباء العرصة[٢٠] حمرا وبيضا، ورفع قبره عـن الأرض قدر شبر، ونزل قبره علي، والفضل وقـثم ابنـا العبـاس، وشقران، وأوس بن خولى الأنصاري.

---

[٢٠] عرصة الدار :ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء والجمع عراص وعرصات.

خطبة أبي بكر بعد البيعة

-بعد أن تمت بيعة أبي بكر بيعة عامة، صعد المنبر وقال بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه :

(أيها الناس قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء اللّه تعالى، لا يدع أحد منكم الجهاد، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم اللّه بالذل، أطيعوني ما أطعت اللّه ورسوله فإذا عصيت اللّه ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم اللّه[٢١]

فيا لها من كلمات جامعة حوت الصراحة والعدل، مع التواضع والفضل، والحث على الجهاد لنصرة الدين وإعلاء شأن المسلمين.

---

[٢١]الجزء الثاني من تاريخ الكامل لابن الأثير.

إرسال جيش أسامة بن زيد[٢٢]

(يوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول سنة١١ هـ ـ ١١) حزيران - يونيه٦ م

كان رسول اللّه قد استعمل أسامة بن زيد، وأمـره بالتوجه إلى حدود الشام للأخذ بثأر من قتل في غزوة مؤتة، وقد كان رسول اللّه قد ضرب البعث على أهل المدينة ومن حولها، وفيهم عمر بن الخطـاب وعسـكر جـيش أسـامة بالجرف[٢٣] فاشتكى رسول اللّه ثم وجد من نفسه راحة فخرج رسول اللّه عاصبا رأسه فقال :

(أيها الناس أنفذوا جيش أسامة (ثلاث مرات .وقال : (إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه مـن قبله، وايم اللّه إنه كان خليقا للإمارة، وايم اللّه إنه لمن أحب

---

[٢٢] هو أسامة بن زيد بن حارثة، أمه أم أيمن وكان أسود أفطس .أردفه رسول اللّه خلفه يوم الفتح على راحلته القصواء واستعمله وهو ابن ثماني عشرة سنة .روي له عن رسول اللّه ١٢٨ حديثاً وروى عنه ابن عباس وجماعة من كبار التابعين وكانت وفاته بالمدينة وقيل بوادري القرى وحمل إلى المدينة سنة ٥٤ هـ.

[٢٣] الجرف :موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .انظر خريطة مكة والمدينة من (كتاب محمد رسول اللّه (للمؤلف.

الناس إلي من بعده)

وذلك لأن الناس طعنوا في إمارة أسامة، لأنه كـان شابا لم يتم العشرين من عمره.

توفي رسول اللّه ولم يسر الجيش، وارتد كثير مـن العرب ونجم النفاق، واشرأبت أعناق اليهـود والنصـارى وبقي المسلمون لا يدرون ماذا يصنعون لوفاة نبيهم، وقلـة عددهم، وكثرة عدوهم .فقال الناس لأبي بكـر :إن جـيش أسامة جند المسلمين، والعرب قد انتقضت بك فلا ينبغي أن تفرق عنك جماعة المسلمين.

فماذا يصنع أبو بكر؟ إنهم يعترضون على إمـارة أسامة لصغر سنه، ويعترضون على إرسال جيش المسلمين لارتداد العرب، وقلة عدد المسلمين، وخوفهم على مركزهم بالمدينة .غير أن رسول اللّه كان يشدد في إرسـال جـيش أسامة، وقد أخذ أبو بكر عهدا على نفسه بأن لا يعصي اللّه ورسوله .فهل يخالف أمر رسول اللّه؟ كلا، فإن ذلك ليس من طبيعته ولا من خلقه، وإنما خلقه الثبات إلى آخـر لحظـة وتنفيذ أوامر رسول اللّه بكل دقة في كل كبيـرة وصـغيرة

مهما كلفه ذلك لقوة إيمانه، وثبات يقينـه وعمـلا بواجـب الصداقة .لهذا كانت إجابته للمعترضين في غاية القوة حيث قال:

(و الذي نفس أبي بكر بيده لو ظننـت أن السـباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته)

وقال لعمر لما أرسله أسامة يستأذنه فـي الرجـوع وطلب إليه الأنصار إن أبى أن يولي عليه من هو أقدم سـنا من أسامة:

(لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم)

فقال عمر :إن الأنصار أمروني أن أبلغـك وأنهـم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة .فوثب أبو بكر وكان جالسا يأخذ بلحية عمر فقال له :

(ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه)

فخرج عمر إلى الناس بعد أم سمع ورأى من أبـي بكر ما رأى .فقالوا له :ما صنعت؟ فقال :امضـوا ثكلـتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم من خليفة رسول اللّه.

وإجابة أبي بكر بهذه القوة تذكرنا بما قاله رسول اللّه لعمه أبي طالب حين ظن أنه قد خذله وضعف عن نصرته : (يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللّه أو أهلك دونه فيه مـا تركته)

خرج أبو بكر حتى أتى الجيش وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسامة :يا خليفة رسول اللّه، واللّه لتركبن أو لأنزلن .فقال (و اللّه لا تنزل وواللّه لا أركب وما علـي أن أغبر قدمي في سبيل اللّه ساعة .فإن للغازي بكـل خطـوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع لـه وترفع عنه سبعمائة خطيئة (حتى إذا انتهى قال إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، ومعنى ذلك أنه يستأذن أسامة - قائـد

الجيش - أن يترك له عمر لأنه كان في الجيش فأذن لـه[٢٤] وكان إرسال الجيش بعد بيعة أبي بكر بيـوم أعنـي يـوم الأربعاء ١٤ من ربيع الأول.

---

[٢٤] ودع أبو بكر أسامة من الجرف ورجع .والجرف موضع قريب من المدينة.

وصية أبي بكر الجيش

-أوصى أبو بكر جيش أسامة فقال:

(يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني):

لا تخونوا، ولا تَغُلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلـوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقـروا نحلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بـأقوام قـد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم لـه . وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا فاذكروا اسم اللّه عليها .وتلقون أقوامـا قـد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولهـا مثـل العصـائب فأخفقوهم بالسيف خفقاً .اندفعوا باسم اللّه)

وقال لأسامة (إصنع ما أمرك به نبي اللّه صلى اللّه عليه وسلم .ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبِلَ[25] ولا تقصرن من

---

[25]صحة اسمه :باذان بالنون لا باذام كما ذكر خطأ بتاريخ الطبري الجزء الثالث صفحة ٢١٣ و ٢١٤المطبوع بالمطبعة الحسينية المصرية.

شئ من أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولا تعجلن لما خلفت عن عهده)

فسار أسامة وأوقع بقبائل من قضاعة التي ارتـدت وغنم وعاد وكانت غيبته أربعين يوما سوى مقامه ومنقلبـه راجعا من غير أن يفقد أحدا من رجاله.

وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعا للمسلمين؛ فإن العرب قالوا لو لم يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوا هـذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه.

ولم نعثر في المراجع التاريخية عن عدد جيش أسامة ولا على قوة جيش العدو وخسائره، ولم نعلم ما هي الغنائم التي غنمها المسلمون.

إمارة باذان على اليمن في عهد رسول اللّه.

-باذان رجل من الفرس بعثه كسرى أبرويز إلـى اليمن نائبا عليها فبقي إلى بعثة رسول اللّه صلى اللّه عليـه وسلم وهو آخر من قدم من اليمن من ولاة العجم.

ولما كاتب النبي كسرى بما كاتبه مـزق كسـرى

الكتاب وبعث إلى باذان أن أرسل إلى هـذا الرجـل الـذي بالحجاز رجلين وكتب مهما إلى النبي يأمره بالمسير معهما إلى كسرى فقال لهم رسول اللّه :إرجعا وقولا لباذان أسـلم فإن أسلم أؤمره على ما تحت يده وأملكه على قومه .فأتيا إلى باذان وكان كسرى قد مات .فقال بـاذان :إنـي لأراه نبيـا ولننظرن فإن كان ما قال حقا فهو فإنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فنرى فيه رأينا .فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه بن كسرى بقتل كسرى ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن، فأسـلم باذان وأسلم معه جماعة منة العجم وبعث بـذلك سـنة ١٠ هجرية .فجمع له النبي عمل اليمن وأمره على جميع مخاليفه فلم يزل عاملا عليها حتى مات.

فلما مات باذان فرق رسول اللّه أمراءه في الـيمن بالكيفية الآتية:

١- عمرو بن حزم على نجران.

٢- خالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجـران وزبيد.

٣- عامر بن شهر الهمذاني على همدان.

٤- شهر بن باذان على صنعاء.

٥- الطاهر بن أبي هالة على عك والأشعريين.

٦- أبو موسى الأشعري على مأرب.

٧- يعلى بن أمية على الجند.

٨- زياد بن لبيد الأنصاري على أعمال حضرموت.

٩- عكاشة بن ثور على السكاسِك والسكون.

١٠- عبد اللّه بن قيس أبو موسى الأشعري على بني معاوية بن كندة.

وكان معاذ بن جبل معلما يتنقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت.

ظهور المتنبئين في بلاد العرب

-ادعى النبوة بعض العرب في الجهات النائية عن المدينة ومكة مثل اليمامة واليمن توصلا إلى الملك والرياسة والتغلب على القبائل المجاورة لهم، فمنهم من حاول محاكاة القرآن تغريرا بعقول السذج من العرب فجاء كلامه سـخيفا مضحكا لا معنى له، ومنهم من لم يقتصر على ذلك بل أتى بالأعاجيب، وما هي إلا شعبذة وكهانة وكحر مبين، لكـنهم افتضحوا وظهر كذبهم ونفاقهم.و عدا ذلـك فـإنهم أحلـوا المحرمات وارتكبوا الفواحش فكـان مصـيرهم الخـذلان والفشل .وقد خضعت جميع هذه القبائل إلى الإسلام بفضـل حزم أبي بكر الصديق ومحاربته أهل الردة كما سيأتي ذكر ذلك مفصلا .والآن نبدأ بأخبار الأسود العنسي الكذاب:

الأسود العنْسي النبي الكذاب

-الأسود العنسي يلقب بذي الخمار لأنه كان معتمـاً متخمراً دائماً[٢٦] واسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسـي،

---

[٢٦]متخمراً لابساً الخمار، الخمار ثوب تُغطي به المرأة رأسها.

وعنس بطن من مذْحِج[٢٧] وكان كاهناً مشعبذاً يري قومـه الأعاجيب ويجلبهم بحلاوة منطقة .ادعى النبوة حين مرض النبي واتبعه مذحج عامة وكانت ردته أول ردة في الإسلام على عهد رسول اللّه .وقد سمى نفسه رحمن اليمن أي أنـه يتكلم باسم الرحمن، كما سمى مسيلمة رحمن اليمامة .ويقال كان له شيطان يخبره بكل شيء.

فغزا نجران وكان عليها عمرو بن حزم وخالد بـن سعيد فأخرجهما ومعه ٧٠٠ فارس إلى صنعاء وعليها شهر بن باذان فخرج إليه شهر فقتله الأسود .كان قواده قيس بـن عبد يغوث المرادي ومعاوية بن قيس الجنبي ويزيد بن محرم ويزيد بن حصين الحارثي ويزيد بن الأفكل الأزدي .استولى الأسود على صنعاء وغلب على حضرموت إلـى أعمـال الطائف إلى البحرين والأحساء إلى عدن، وقد استولى على جنوب غربي بلاد الرب في أقل من شهر وأسند أمر جنـده إلى قيس بن عبد يغوث وأسند أمر الأبناء[٢٨] إلـى فيـروز

---

[٢٧]البطن دون القبيلة.

[٢٨]الأبناء هم من أولاد الفرس الذين سيرهم كسرى أنوشروان مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة فأقاموا باليمن.

وداذويه فلما أثخنا في الأرض اسـتخف بقـيس وبفيـروز الديلمي وداذويه.

خاف من بحضرموت من المسـلمين أن يحـاربهم الأسود أو يظهر كذاب آخر مثله فأتى من باليمن كتاب من رسول اللّه يأمرهم بقتال الأسود فقام معاذ يتنقل في القبائـل فقويت نفوس المسلمين.و كان الذي قدم بكتاب النبي صـلى اللّه عليه وسلم وبر بن يحنّس الأزدي.

قتل الأسود العنسي

-من سخافة عقل الأسود اسـتخفافه بقائـد جيشـه وبفيروز وداذويه وهم الذين أعانوه على إخضاع اليمن له في مدة قصيرة .ثم إنه بعد أن قتل شهر بن باذان تزوج امرأته آزاد وهي ابنة عم فيروز .فلما علم المسلمون تغيره علـى رئيس جنده دعوه وأنبأوه بكتاب رسول اللّه بقتـل الأسـود ففرح فيروز لذلك النبأ وكلموا آزاد زوجته في قتله، وكانت تبغضه لأنه قتل زوجها ولأنه كان سيء الخلق فاسقاً.

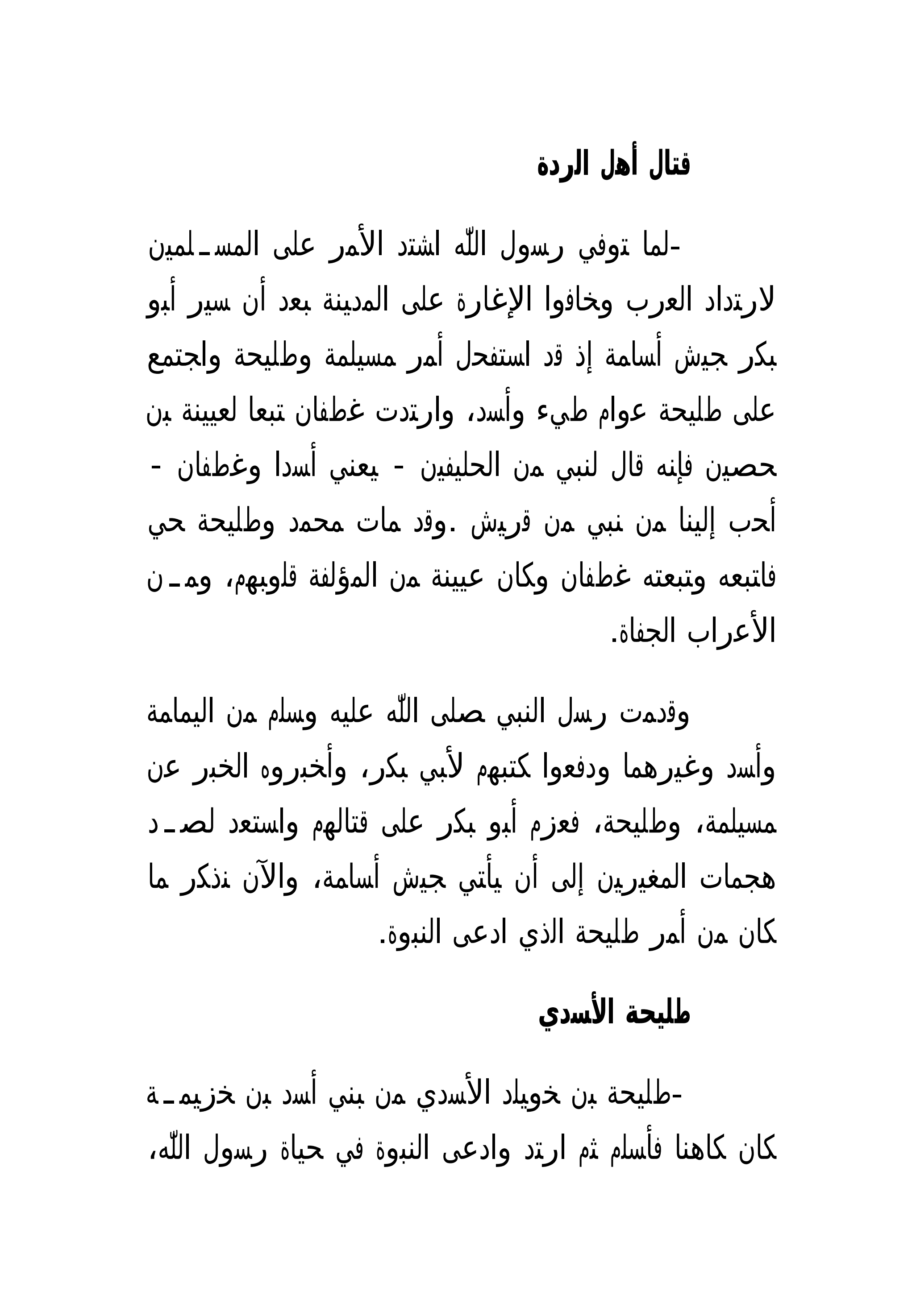
تمكن فيروز، وداذويه، وقيس من دخـول القصـر بالرغم من وجود الحراس وذلك بواسطة نقب نقبوه بإشارة

من آزاد ثم انقضوا عليه وقتلوه وحزوا رأسه .ولمـا طلـع الفجر نادوا بشعار المسلمين وهـو الأذان .ولمـا اجتمـع المسلمون والكفار ألقوا إليهم الرأس، وبذلك خلصت صنعاء والجنَد[29] من هذا الشر المستطير، واتفق الناس على توليـة معاذ بن جبل فكان يصلي بالناس، وعاد عمال رسول اللّـه إلى أعمالهم وكتبوا إليه صلى اللّه عليه وسلم بالخبر، فوصل الرسول المدينة صبيحة اليوم الذي توفي فيه رسـول اللّـه، وكان بين خروج الأسود ومقتله نحو أربعة أشهر.

وقد جاء في أسد الغابة عند ترجمة باذان أن بـاذان كان له أثر كبير في قتل الأسود مع أنه لم يكن له أي أثر في ذلك لأن باذان مات في عهد رسول اللّه وفرق صلى اللّـه عليه وسلم أمراءه على اليمن فكان شهر بن باذان علىصنعاء ثم استولى عليها الأسود الذي قتل غيلة كما تقدم.

---

[29] الجنَد بالتحريك :قال أبو سنان اليمامي :ا ليمن فيها ٣٣ منبراً قديماً و ٤٠حديثاً وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة :فوال على الجند ومخاليفها وهو أعظمه .ووال على صنعاء ومخالفيها وهي أوسطها، ووال على حضرموت ومخالفيها وهو أدناها .والجنَد مسماة بجند بن شهران بطن من المعافر.



قتال أهل الردة

-لما توفي رسول اللّه اشتد الأمر على المسـلمين لارتداد العرب وخافوا الإغارة على المدينة بعد أن سير أبو بكر جيش أسامة إذ قد استفحل أمر مسيلمة وطليحة واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد، وارتدت غطفان تبعا لعيينة بن حصين فإنه قال لنبي من الحليفين - يعني أسدا وغطفان - أحب إلينا من نبي من قريش .وقد مات محمد وطليحة حي فاتبعه وتبعته غطفان وكان عيينة من المؤلفة قلوبهم، ومـن الأعراب الجفاة.

وقدمت رسل النبي صلى اللّه عليه وسلم من اليمامة وأسد وغيرهما ودفعوا كتبهم لأبي بكر، وأخبروه الخبر عن مسيلمة، وطليحة، فعزم أبو بكر على قتالهم واستعد لصـد هجمات المغيرين إلى أن يأتي جيش أسامة، والآن نذكر ما كان من أمر طليحة الذي ادعى النبوة.

طليحة الأسدي

-طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد بن خزيمـة كان كاهنا فأسلم ثم ارتد وادعى النبوة في حياة رسول اللّه،

وظهر في بني أسد واتبعه أفاريق[٣٠] مـن العـرب ونـزل سميراء[٣١] بطريق مكة، فوجه إليه النبي صلة اللّه عليه وسلم ضرار بن الأزور عاملا على بني أسد، وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه فضربه به بسيف فلم يصنع شيئا، فاعتقد الناس أن السلاح لا يؤثر فيه فكثر جمعه، ومات النبي صلى اللّه عليه وسلم وهـم علـى ذلك .وأكثر من تبعه من أسد، وغطفان، وطـيء، وفـزارة وغيرهم، وفر ضرار ومن معه إلى المدينة .وكان طليحـة يدعي أن جبرائيل كان يأتيه .وكان يسجع للناس الأكاذيـب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة يقـول :إن اللّـه لا يصنع بتعفير وجوهكم، وتقبيح أدباركم شيئاً فـاذكروا اللّـه قياماً فإن الرغوة فوق الصريح .وأنفذ طليحة وفوده إلى أبي بكر في الموادعة على الصلاة[٣٢] وترك الزكاة، فأبى أبو بكر ذلك وكان لطليحة أخ يدعى حبال جعله علـى فريـق مـن أتباعه .ولما عرض الوفد على أبي بكر ترك الزكاة قـال :

---

[٣٠] في الحديث :أفاريق العرب، وهو جمع أفراق وأفراق جمع فرقة.

[٣١] سميراء بفتح أوله وكسر ثانيه بالمد وقيل بالضم :ماء بين ثور والحاجز في طريق مكة.

[٣٢] الموادعة :المصالحة.

(والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه)[٣٣]

الإغارة على المدينة

-توقع أبو بكر الإغارة على المدينة فجعل بعد سير الوفد على أنقاب المدينة عليا وطلحة، والزبير، وابن مسعود، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الإغارة من العدو لقربهم .فما لبثوا إلا ثلاثا حتى طرقوا المدينة ليلا، وخلفـوا بعضهم بذي حسى (١ليكونوا لهم رداء)[٣٤] فوافـوا لـيلاً الأنقاب، وعليها المقاتلة فمنعوهم خارج المدينة وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر فخرج إليهم جيش المدينة واتبعوهم حتى إذا كانوا بذي حسى خرج إليهم أصحاب طليحة بقرب قد نفخوها وفيها الحبال فدهدهوها[٣٥] على الأرض فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلى المدينة، ولم يصرع مسلم .وظن الكفار بالمسلمين الوهن ثم انضم إلى رجال طليحة غيـرهم من أصحابه، وبات أبو بكر بالمدينة يعبئ الجيش ثم خـرج

---

[٣٣]لو منعوني عقالاً :قيل المراد الحبل وإنما ضرب به مثلاً لتقليل ما عساهم أن يمنعوه .وقيل المراد بالعقال نفس الصدقة.

[٣٤]ذو حسى :واد بديار عبس وغطفان.

[٣٥]معيناً.

ليلا يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد اللّه بن مقرن وعلى الساقة سويد بن مقرن .فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد، فقاتلهم المسلمون حتـى ولوا مدبرين، واقتفى أثرهم أبو بكر حتى نزل بذي القَصة[٣٦] وكان ذلك أول فتح فوضع بها الحامية وعليها النعمان بـن مقرن، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين بمن قتلوا مـن المسلمين وزيادة وازداد المسلمون قوة وثباتا.

كانت هذه الموقعة صغيرة، ولكن كان للنصر الذي أحرزه أبو بكر شأن كبير، ووقع عظيم في النفوس .وقد كان المرتدون يتحدثون فيما بينهم بقلة عدد المسلمين فلـو أنهـم انهزموا لكان الخطب فادحا .وعلى أثر هذا الانتصار طرقت المدينة الصدقات فانتعش المسلمون وقويت عزيمتهم وكـان أول من جاء بالصدقات إلى الخليفة وفود بني تمـيم وبنـي طيء.

---

[٣٦] دحرجوها.

عودة أسامة سنة١١ هـ (سبتمبر سنة ٦٣٢ م)

-وأخيراً عاد أسامة من غزوته، وأصبحت المدينـة في مأمن من الخطر، ووزع أبو بكر الغنائم على الناس، وقد نال أبو بكر ما أراد من إرسال أسامة واعتقد العرب بقـوة المسلمين .ثم إن أبا بكر استفاد من الفرصة التي سنحت لـه بطرد المرتدين من ذي القَصة إلى الربذَة[٣٧] واستخاف أسامة على المدينة وقال له ولجنده استريحوا وأريحوا ظهوركم ثم خرج في الذين خرج معهم إلى ذي القصة وهم قوة صغيرة . فقال له المسلمون :ننشدك اللّه يا خليفة رسول اللّه ألا تعرض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو فابعث رجلا فإن أصيب أمرت آخر .فقال :(لا واللّه لا أفعل ولأواسينكم بنفسي)

سار أبو بكر إلى ذي حسى، وذي القصة حتى نزل بالأبرق[٣٨] فاقتتلوا فهزم الحارث، وعوف، وأخذ الحطيئـة أسيرا، فطارت عبس، وبنو بكر وأقام أبو بكر على الأبرق أياما، وغلب على بني ذبيـان وبلادهـم وحماهـا لـدواب

---

[٣٧]الربذة :من قرى المدينة على ثلاثة أميال وبها قبر أبي ذر وجماعة من الصحابة.

[٣٨]موضع كان من منازل بني ذبيان.

المسلمين وصدقاتهم .ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا إلى طليحة وهو ببزاخَة[٣٩] وكان رحل من سميراء إليها، فأقـام عليها، وعاد أبو بكر إلى المدينة.

---

[٣٩]بزاخة :ماء لبني أسد بأرض.

إرسال البعوث إلى المرتدين شعبان سنة١١ هـ ـ (تشرين الأول أكتوبر سنة ٦٣٢ م)

-لما استراح أسامة وجنده وكان قد جاءتهم صدقات كثيرة تفضل عنهم نظم أبو بكر البعوث، وعقد الألوية فعقد أحد عشر لواء .وفيما يلي أسماء القواد ووجهتهم:

١- خالد بن الوليد :سار إلى طليحـة بـن خويلـد الأسدي فإذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة بالبطـاح إن أقام له.

٢- عكرمة بن أبي جهل :إلى مسيلمة.

٣- المهاجر بن أبي أمية :إلى جنود العنسي ومعون الأبناء على قيس بن المكشوح ثم يمضي إلى كِندة بحضـر موت.

٤- خالد بن سعيد إلى مشارف الشام.

٥- عمرو بن العاص :إلى قضاعة ووديعة .

٦- حذيفة بن محصن الغلفاني :إلى أهل دبا.

٧- عرفجة بن هيثنة :إلى مهرة.

٨- شرحبيل بن حسنة :في أثر عكرمة بن أبي جهل فإذا فرغ من اليمامة لحق بخيله إلى قضاعة.

٩- معن بن حاجز :إلى بني سليم ومن معهم مـن هوازن.

١٠- سويد بن مقرن :إلى تهامة باليمن.

١١- العلاء بن الحضرمي :إلى البحرين.

هؤلاء هم القواد الذي اختارهم أبو بكر لقتال أهـل الردة وعقد لكل واحد منهم لواء ومن هذا يتبين أنهم أرسلوا إلى جميع العرب الذين كانوا قد ارتدوا، فما أصعب مهمـة أبي بكر ومهمة قواده الذين كلفوا بإخضاع المرتدين وإعادتهم إلى لواء الإسلام، ولم يبق بالمدينة غير قوة صغيرة .وبقي أبو بكر في المدينة ولم يبعث عمر بن الخطاب، وعلي بـن أبي طالب، والزبير مع كفايتهم الحربية، بل أبقـاهم معـه لاستشارتهم.

فصلت الأمراء من ذي القصة ونزلوا على قصدهم

فلحق بكل أمير جنده وقد عهد إليهم عهده وكتب إلى من بعث إليه من جميع المرتدين.

وهذا نص الكتاب الذي أرسله أبو بكر إلى المرتدين من العرب وأعطى كل أمير نسخة منه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(من أبي بكر خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه .سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم اللّه الذي لا إلـه إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله .نقر بما جاء به ونكفر من أبى ونجاهده)

(أما بعد فإن اللّه أرسل محمدا بالحق من عنده إلـى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى اللّه بإذنه وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين .فهدى اللّه بالحق من أجاب إليه وضرب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعا أو كرها، ثم تـوفى اللّه رسوله صلى اللّه عليه وسلم وقد نفذ أمر اللّه ونصـح

لأمته وقضى الذي عليه .وكان اللّه قد بين له ذلك ولأهـل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، فقال} إنك ميت وإنهم ميتون { الزمر٣٠ ، وقال} و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون {الأنبياء٣٤ ، وقال للمؤمنين} و ما محمـد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللّه شيئا وسيجزي اللّه الشاكرين {آل عمران١١٤ ، من كان يعبد محمداً فـإن محمداً قد مات ومن كان يعبد اللّه وحده لا شريك له فإن اللّه له بالمرصاد، حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نـوم . حافظ لأمره، منتقم من عدوه يجزيه، وإني أوصيكم بتقـوى اللّه وحظكم ونصيبكم من اللّه، وما جاءكم به نبيكم صلى اللّه عليه وسلم وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين اللّه فإن كل من لم يهده اللّه ضال وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لـم يعنه اللّه مخذول، فمن هداه اللّه كان مهتديا ومن أضله كان ضالا .قال اللّه تعالى) من يهد اللّه فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً {الكهف١٧ ، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل.و قد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغترارا باللّه وجهالة بـأمره

وإجابة للشيطان .قال اللّه تعالى} و إذ قلنا للملائكة اسـجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربـه . أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكـم عـدو .بـئس للظالمين بدلا {الكهف .٥١ وقال (إن الشيطان كان لكم عدو فاتخذوه عدوا .إنما يدعو حزبـه ليكونـوا مـن أصـحاب السعير) فاطر٦ ، وإني بعثت إليكم (فلانا) في جيش مـن المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية اللّه فمن استجاب لـه وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه عليه .ومن أبـى أمرته أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، ويسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له ومـن تركه فلن يعجز اللّه .وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي فـي كل مجمع لكم .والداعية الأذان .فإذا أذن المسلمون فـأذنوا فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا عاجلوهم وإن أذنوا اسألوهم مـا عليهم فإن أبوا عاجلوهم وإن أقروا اقبلوا منهم واحملـوهم على ما ينبغي لهم)

هذا إعلان عام للمرتدين وقد أمـرهم بالخضـوع

والعودة إلى الإسلام حالا بمجرد الدعوة وإلا كان كل أميـر في حل من قتل من أبى وحرقه واستعمال الشدة معه وسبي الذراري والنساء.

وأعطى لكل قائد عهدا بوصية بما يجب عليـه أن يتبعه ويسلكه للقيام بالمهمة التي عهد إليه بها .وهذا نـص العهد :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم" لفلان "حين بعثه لقتال من رجع عـن الإسـلام وعهد إليه أن يتقي اللّه ما استطاع في أمـره كلـه .سـره وعلانيته.و أمره بالجد في أمر اللّه ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إلـيهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عـنهم وإن لـم يجيبوه شنغارته عليهم حتى يقروا له ثم ينبئهم بالذي علـيهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر اللّه عز وجل قبل ذلك منه وأعانه عليه بـالمعروف .إنمـا يقاتـل

بالمعروف وإنما يقتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكـان اللّـه حسيبه بعد فما استيسر به .ومنلم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مرغمه لا يقبل من أحد شيئا أعطاه إلا الإسلام .فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله .فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران .ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيونا ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين فـي حسـن الصحبة ولين القول)

موقعة بزاخة وفرار طليحة إلى الشام.

-وجه أبو بكر خالد بن الوليد لمحاربة طليحة فـإذا فرغ من قتاله سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح[٤٠]

---

[٤٠]البطاح :ماء في ديار أسد بن خزيمة.

وكان أبو بكر بعث عدي بن حاتم[٤١] قبل خالد بـن الوليد إلى طيء وأَتْبعه خالدا وأمره أن يبدأ بطيء ومـنهم يسير إلى بزاخة ثم إلى البطاح ولا يبرح إذا فرغ من قـوم حتى يأذن له وأظهر للناس أنه خارج بجيش إلى خيبر حتى يلاقي خالدا وذلك بقصد إرهاب العدو.

قدم عدي بن حاتم إلى طيء كما أمـره أبـو بكـر ليدعوهم إلى الإسلام قبل أن يحاربهم خالد .فلمـا دعـاهم وخوفهم طلبوا إليه أن يتوسط في تأخير الجيش عنهم ثلاثـة أيام حتى يتمكنوا من سحب من انضم إليهم إلى طليحة بـن خويلد الأسدي لئلا يقتلهم .فعاد عدي وأخبر خالدا بـالخبر وتأخر وأرسلت طيء إلى إخوانهم عند طليحة فلحقوا بهـم فعادت طيء إلى خالد بإسلامهم.

بعد ذلك هم خالد بالرحيل إلى جديلة[٤٢] فاسـتمهله

---

[٤١]عدي بن حاتم الطائي الذي يضرب بأبيه المثل في الجود، وقد وفد عدي على النبي صلى اللّه عليه وسلم سنة تسع في شعبان فأسلم وكان نصرانياً ووفد على أبي بكر في الردة بصدقات قومه وثبت على الإسلام ولم يرتد وكان جواداً شريفاً في قومه معظماً عندهم وعند غيرهم .حاضر الجواب وكان يفت الخبز للنمل ويقول إنهن جارات ولهن حق .توفي سنة ٦٧ هـ.

[٤٢]بطن من بطون طيء.

عدي أيضا ريثما يكلمهم .فذهب إليهم يدعوهم إلى الإسـلام فلم يزل بهم حتى أجابوه، فعاد إلى خالد بإسـلامهم ولحـق بالمسلمين ألف راكب منهم وكان خير مولود في أرض طيء وأعظمه بركة عليهم لأنه كفاهم شر القتال بـدخولهم فـي الإسلام وأفاد جيش المسلمين وأراحهم من قتالهم وأفادهم بما انضم إليهم منهم، وفي الحقيقة فإن الخدمة التي أداها عـدي بن حاتم للطرفين جليلة لا تقدر.

وكان خالد قد أرسل عكاشة بن محصن وثابت بـن أقرم طليعة فلقيها حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة فقتل سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتا ورجعا .فلما أقبل خالد بجيشه رأوا عكاشة وثابتا عكاشة قتيلين فتحرج المسلمون لذلك وقالوا قتل سيدان مـن سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم.

سار خالد بجيشه إلى بزاخة والتقى بجيش طليحـة فتقاتلوا قتالا شديدا وطليحة ملتف في كسائه يتنبأ لهم .وكان

عيينة بن حِصن[٤٣] يقاتل مع طليحة في ٧٠٠ من بني فزارة قتالا شديدا.

ولما اشتدت الحرب كر عيينة بن محصـن علـى طليحة وقال له :هل جاءك جبريل؟ قال لا .فرجع فقاتل ثـم عاد إلى طليحة فقال له لا أبالك هل جاءك جبريل؟ قـال لا فقال عيينة حتى متى؟ قد والله بلغ منا .ثم رجع فقاتل قتـالا شديدا .ثم كر على طليحة .فقال هل جاءك جبريل؟ فقال نعم . قال :فماذا قال لك؟ قال :قال لي :إن لـك رحـى كرحـاه، وحديثا لا تنساه .فقال عيينة قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه .(انصرفوا بني فزارة فإنه كذاب) فانصرفوا، وانهزم الناس.

وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلة لامرأته (النوار) فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال :

(يا معشر فزارة من استطاع أن يفعل هكذا وينجـو

---

[٤٣] عيينة بن حصن يكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح .وقيل أسلم قبل الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم ومن الأعراب الجفاة، وارتد .وكان عيينة في الجاهلية من الجرارين يقود عشرة آلاف وتزوج عثمان بن عفان زوجته.

بامرأته فليفعل) ثم انهزم فلحق بالشام ثم نزل علـى كلـب وأسلم حين بلغه أن أسدا وغطفان قد أسلموا، ولم يزل مقيما في كلاب حتى مات أبو بكر وكان قد خرج معتمـرا، ومـر بجنبات المدينة؛ فقيل لأبي بكر :هذا طليحة فقال :ماذا أصنع به قد أسلم؟

ولما أوقع اللّه بطليحة وفزارة ما أوقع أقبل أولئـك يقولون :ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن باللّه ورسوله ونسـلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا .وقد بايع خالد من خضع وأسلم من القبائل، وهذا نص البيعة :

(عليكم عهد اللّه وميثاقه، لتؤمنن باللّـه ورسـوله، ولتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة وتبايعون على ذلك أبنـاءكم ونساءكم)

ولم يقبل من أحد من أسد، وغطفان، وطيء، وعامر إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على الإسلام فـي حال ردتهم فأتوا بهم فمثل بهم وحرقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم في الآبار وأرسل إلى أبي بكر يعلمه ما فعل وأرسل إليه قرة بن هبيرة ونفرا معه وزهيرا

موثقين.

أم زمل بنت مالك بن حذيفة بن بدر فكانت قد سبيت أيام أمها أم قرفة[٤٤]، فوقعت لعائشة فأعتقتها ورجعت إلـى قومها وارتدت، واجتمع إليها الفل، فإمرتهم بالقتال، وكثـف جمعها، وعظمت شوكتها .فلما بلغ خالدا أمرها سار إليهـا فاقتتلوا قتالا شديدا أول يوم وهي واقفة على جمل كان لأمها وهي في مثل عزها فاجتمع على الجمل فـوارس فعقـروه وقتلوها، وقتل حول الجمل مائة رجل، وبعث خالد بالفتح إلى أبي بكر.

[٤٤]راجع أم قرفة في كتاب محمد رسول الله للمؤلف ص ٣٠٧ و٣٠٨.

أسر عيينة بن حصن

-كان خالد بن الوليد أسر عيينة بن حصن فقدم بـه إلى أبي بكر فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف :يا عدو اللّه أكفرت بعد إيمانك؟ فيقول ما آمنت باللّه طرفة عين فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه.

مثال من كلام طليحة

-وأخذ من أصحاب طليحة رجلا كان عالما به فسأله خالد عما كان يقول فقال :إن مما أتي به:

(والحمامِ واليمام، والصردِ والصوام[٤٥] ، قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملْكنا العراق والشام) ولم يبلغ ملك طليحة لا العراق ولا الشام بل هو الذي فر إلى الشام.

ويغلب على ظني أن خالدا لما سمع هـذا السـجع السخيف لم يتمالك من الضحك مع أن طليحة كان شاعراً.

---

[٤٥] الصرد وزان عمر :نوع من الغربان، ورجل صائم وصوام مبالغة.

هزيمة بني تميم وقصة مالك بن نُويرة.

-بعد أن أخضع خالد بن الوليد القبائل التي تقطـن التلال الواقعة شمالي المدينة سار لقتال بني تميم بهضبة عند الخليج الفارسي وهم قسمان :نصارى وعباد أصنام منتشرون في المراعي الواسعة بين اليمامة ومصب الفرات، وكانوا قد أسلموا في زمن النبي صلى اللّه عليه وسلم كسائر القبائـل العربية وفرق فيهم عماله، فكان الزبرقان منهم وسهيل بـن منجاب وقيس بن عاصم وصفوان بن صفوان وسـبرة بـن عمر ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة .ثم ارتدوا ومنعـوا الزكاة بعد وفاة رسول اللّه ولما تولى أبـو بكـر الخلافـة وانتصر في أول موقعة له سار صفوان بن صفوان إلى أبي بكر بصدقات بني عمرو إلا أنه في هذه الأثناء تشاغلت تميم بعضها ببعض، وبينما هم كذلك جاءتهم سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية قد أقبلت من الجزيرة وادعـت النبوة وكانت ورهطها في أخوالها من تغلب تقـود ربيعـة ومعها الهذيل بن عمران في بني تغلب وكان نصرانيا فترك دينه وتبعها، كما أن سجاح كانت قد اعتنقت الديانة المسيحية قبل أن تتنبأ ومعها عقة بن هلال في النمر وزياد بن فـلان

في إياد والسليل بن قيس في شيبان، فأتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم.

وكانت سجاح تريد غزو المدينة، فأرسلت إلى مالك بن نويرة تطلب الموادعة فأجابها إلا أن قبائل تميم الأخرى أبوا اتباعها، وحاربوها في عدة مواقع فانهزمت هي ومالك، وبعد أن صالحتهم وبادلتهم الأسرى سارت في جنود الجزيرة قاصدة اليمامة وقالت :

(عليكم باليمامة ودفُّوا[٤٦] دفيف الحمامة .فإنها غزوة صرامة[٤٧] لا يلحقكم بعدها ملامة)

وكانت سجاح تريد مهاجمة مسيلمة، فقصدت بنـي حنيفة .فبلغ ذلك مسيلمة فخاف إن هو شغل بهـا أن يغلـب ثمامة وشرحبيل بن حسنة والقبائل التي حولهم على حجـر وهي اليمامة فأهدى لهم ثم أرسل يستأمنها على نفسه حتـى يأتيها فجاءها في أربعين من بني حنيفة .فقال مسيلمة :لنـا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عدلت، وقد رد اللّـه

---

[٤٦] دفوا :أسرعوا.

[٤٧] صرامة :قاطعة.

عليك النصف الذي ردت قريش.

واجتمع مسيلمة بسجاح وضرب لها قبة وتزوجها وصالحها على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف وتترك النصف، فأخذت النصف وانصرفت إلى الجزيرة وخلفت الهذيل وعقبة وزيادا لأخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم إلا دنو خالد إليهم فانفضوا، ويلاحظ أن سجاح لم تقم مع زوجها مسيلمة الذي آمنت به، بل تركته وعادت إلى الجزيرة.

أما مالك بن نويرة فإنه ندم على ما فعل لاتباعه سجاح وتحير في أمره وسار خالد بن الوليد بعد أن فرغ من فزارة وغطفان وأسد وطيء يريد البطاح، وبها مالك بن نويرة قد تردد عليه أمره .وتخلفت الأنصار عن خالد وقالوا ما هذا بعهد الخليفة إلينا إن نحن فرغنا من بزاخة أن نقيم حتى يكتب إلينا فتركهم خالد ومضى، وندمت الأنصار ولحقوه ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد فيها أحدا، وكان مالك بن نويرة قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكل من لم يجب، وإن امتنع أن يقتلوه .فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع .وكان فيهم أبو قتادة، فشهد

أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا .وقال قوم إنهم لم يفعلوا ذلك . فلما اختلفوا في أمرهم أمر خالد بن الوليد بحبسهم فحبسوا في ليلة باردة وأمر مناديا فنادى أدفئوا أسراكم، وهي في لغـة كنانة القتل فظن القوم أنه أراد القتل ولم يـرد إلا الـدفء فقتلوهم فقتل ضرار بن الأزور مالكا، وسمع خالد الداعية[٤٨] فخرج وقد فرغوا منهم فقال :(إذا أراد اللّه أمرا أصابه)

زواج خالد

-تزوج خالد أم تميم امرأة خالد بن نـويرة .ولمـا وصل الخبر إلى المدينة قال عمر لأبي بكر إن سيف خالـد فيه رهق[٤٩] وأكثرعليه في ذلك .فقال يا عمر :(تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم[٥٠] سيفا سله اللّه علـى الكافرين) وودى مالكاً[٥١] ، وكتب إلى خالد أن يقـدم عليـه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء[٥٢] وقد غرز فـي عمامتـه

---

[٤٨]الداعية :الصراخ.

[٤٩]الرهق :غشيان المحارم.

[٥٠]لا أشيم :لا أغمد سيفاً.

[٥١]دفع ديته (المصحح)

[٥٢]قباء ثوب يلبس فوق الثياب، وقيل يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه ج أقبية.

أسهما، فقام عمر فنزعها وحطمها، وقال له :قتلـت امـرأ مسلما ثم نزوت على امرأته[٥٣] واللّه لأرجمنك بأحجـارك وخالد لا يكلمه يظن أن رأي أبي بكر مثله، ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره، وتجاوز عنه وعنفـه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهته أيام الحرب فخرج خالد وعمر جالس .فقال :هلم إلي يا ابـن أم شـملة فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه .وقدم أخوه متمم بن نويرة على أبي بكر يطالب بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم فأمر أبو بكر برد السبي وودى مالكا من بيـت المال .غير أن سير ويليام موير يقول في كتابه (الخلافـة) طبعة ١٩٢٤ صفحة٢٦ [٥٤] إن أبا بكر أمر برد الأسـرى لكنه رفض أن يدي مالكا من غير أن يشير إلـى المصـدر الذي استند إليه في الرفض، وهذا يخالف ما جاء في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير وأسد الغابة .فقد ورد في هـذه المراجع أن أبا بكر أمر برد السبي وودى مالكا .وقد كانت زوجة مالك بن نويرة غاية الجمال .وكان خالد بـن الوليـد

---

[٥٣] نزا :وثب.

[٥٤] Muir 'Sir William' - The Caliphate (١٩٢٤) Page)

يحبها فقتل زوجها مالكا ليتزوجها مع أنه أقر بالإسلام .وقال مالك عندما أمر خالد بقتله :(إن هذه التـي قتلتنـي) يريـد زوجته، وهذا الذي استوجب غضب عمر على خالد .وكان يريد أن يرجمه باعتباره زانيا.

وفي زواج خالد بزوجة مالك بن نميرة يقـول أبـو نمير السعدي :

ألا أقل لحي أوطئوا بالسنابك تطاول هذا الليل مـن بعد مالك

قضى خالد بغيا عليه بعرسه وكان هوى فيها قبـل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنهـا ولا متمالك

فأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير أهل هالكا في الهوالك [٥٥] [٥٦]

---

[٥٥] راجع تاريخ أبي الفداء.

كان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة وقد كان عاهد اللّه أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حربا أبدا بعدها وكان يحدث أنهم لما غشوا القـوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح قال فقلنا إنا مسلمون . فقالوا ونحن مسلمون .قلنا فما بال السلاح معكم؟ قالوا فمـا بال السلاح معكم؟ قلنا فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح . قال فوضعوها ثم صلينا وصلوا .وكان خالد يعتذر في قتلـه أنه كان يقول كذا وكذا .قال أو ما تعده لك صاحبا؟ ثم قدمه وضرب عنقه وعنق أصحابه.

---

(٥٦)نستبعد صحة هذه الرواية .وليس كل ما ورد من الروايات في كتب التاريخ صحيحاً .قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :اللّه اللّه في أصحابي لا تتخذوهم هدفاً ...أي اتقوا اللّه في أصحابي لا تؤذوهم .ونحن نميل إلى اختيار الروايات التي تنزه الصحابة جميعاً رضي اللّه عنهم وغفر لهم .(المنقح)

موقعة اليمامة آخر سنة١١ هـ وبدء سنة ٦٣٣ م.

-كان خالد بن الوليد يحارب المرتدين في اليمامة من أتباع مسيلمة .واليمامة موطن بني حنيفة في وسـط شـبه جزيرة العرب وفي اتجاه الشرق قليلا .الشرق منها يـوالي البحرين وبني تميم، والغرب يوالي أطراف اليمن والحجاز والجنوب نجران، والشمال أرض نجـد .وطـول اليمامـة عشرون مرحلة وهي على أربعة أيام من مكة .بلاد نخـل وزرع.

بلغ عدد جيوش مسيلمة ٤٠,٠٠٠٠ مقاتل وهؤلاء هم الذين سار خالد لمحاربتهم.

كان مسيلمة رجلا صغير الجسم دميم الوجه له كفاءة تؤهله للزعامة .وكان قد قدم إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم في وفد بني حنيفة واجتمع برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ثم رجع إلى قومه وادعى أنه شريك رسول اللّه في النبـوة، فاتبعه بنةو حنيفة .وكتب مسيلمة إلى رسول اللّه يذكر أنـه شريكه في النبوة وأرسل كتابا مع رسولين فسألهما رسـول اللّه عنه فصدقاه، فقال لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما .وكان

كتاب مسيلمة:

(من مسيلمة رسول اللّه إلى محمد رسول اللّه .أمـا بعد فإني أشركت معك في الأمر وإن لنا نصـف الأرض، ولقريش نصفها ولكن قريش قوم يعتدون)

فكتب إليه رسول اللّه :

(بسم اللّه الرحمن الرحيم .من محمد رسول اللّه إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فالسلام على من اتبع الهـدى فـإن الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)

فلما مات رسول اللّه وبعث أبو بكر السـرايا إلـى المرتدين أرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة فاستعجل وانهزم وأقام شـرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة إلـى أبـي بكـر بالخبر، فكتب إليه أبو بكر:

(لا أرينك ولا تراني .لا ترجعن فتوهن الناس، امض إلى حذيفة وعرجفة فقاتل أهل عمان ومهرة ثم تسير أنـت وجندك لا تستبرئون الناس حتى تلقى بها مهاجر بـن أبـي

أمية[57] باليمن وحضرموت)

وكتب إلى شرحبيل بالمقام إلى أن يأتي خالد فـإذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العـاص تعينـه علـى قضاعة.

فلما رجع خالد من البطاح إلى أبي بكر واعتذر إليه فقبل عذره وأوعب معه المهـاجرين والأنصـار، وعلـى الأنصار (ثابت بن قيس بن شماس) وعلى المهاجرين (أبـو حذيفة وزيد بن الخطاب) وأقام خالد بالبطاح ينتظر وصول البعث إليه .فلما وصلوا إليه سار إلى اليمامة بجيشه لملاقاة العدو.

ولما بلغ مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره بعقرباء[58]

---

[57] المهاجر بن أبي أمية أخو أم سلمة زوج النبي صلى اللّه ع ليه وسلم .كان اسمه الوليد فسماه رسول اللّه المهاجر.

[58] عقرباء :منزل من أرض اليمامة في طريق النباح قريب من قرقرى من أعمال العِرض وهو لقوم من بني عامر بن ربيعة وهي التي خرج إليها مسيلمة لما بلغه مسير خالد إلى اليمامة فنزل بها لأنها في طريق اليمامة ودون الأموال وجعل ريف اليمامـة وراء ظهـره . النباح بين البصرة واليمامة.

وخرج إليه الناس وخرج مجاعة بن مرارة في سرية يطلب ثأرا لهم في بني عامر - فلم يكن يقصد قتال المسـلمين - فأخذه المسلمون وأصحابه وقتلهم خالد واستبقاه لشرفه فـي بني حنيفة وكانوا ما بين أربعين إلى ستين وترك مسـيلمة الأموال وراء ظهره.

وفي صباح اليوم التالي التقى الجيشان بسهل عقرباء وقال شرحبيل بن مسيلمة :(يا بني حنيفة قاتلوا فإن اليوم يوم الغيرة فإن انهزمتم تستردف النساء سبيات ويـنكحن غيـر خطيبات .فقاتلوا عن أحسابكم وامنعـوا نسـاءكم (فـاقتتلوا بعقرباء.

وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حنيفة.

وكانت مع عبد اللّه بن حفص بن غانم فقتل فقـالوا لسالم (نخشى عليك من نفسك) فقال (بئس حامل القرآن أنـا إذا)

وقرقرى أرض يمر بها قاصد اليمامة من البصرة فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة .
والعِرض بكسر أوله وسكون ثانيه وادي اليمامة ويقال لكل واد فيه قرى ومياه عرض.

وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شـماس وكان أول من لقي المسلمين نَهار الرجال بن عنْفُوة[٥٩]، فقتله زيد بن الخطاب واشتد القتال ولم يلاق المسلمون حربا مثلها قط وانهزم المسلمون وخاص بنو حنيفة إلى مجاعة وإلـى خالد فزال خالد عن الفسطاط ودخلوا مجاعة وهو عند زوجة خالد يحرسها فأرادوا قتلها فنهاهم مجاعة عن قتلها وقال (أنا لها جار) فتركوها، وقال لهم (علـيكم بالرجـال) فقطعـوا الفسطاط وحاق الخطر بالمسلمين في هذه السـاعة وأخـذ بعضهم يحث على القتال ويستفز الهمم .فقال ثابت بن قيس :

(بئس ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين .اللّهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني أهل اليمامة - وأعتـذر إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين ثم قاتل حتى قتل.

وقال زيد بن الخطاب :

(لا تحوز بعد الرجال .واللّه لا أتكلم اليـوم حتـى

---

[٥٩]نهار الرجال بن عنفوة كان قد هاجر إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم وفقه في الدين فبعثه معلماً لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة .وليشدد من أمر المسلمين فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة .شهد له أنه سمع رسول اللّه يقول :أنه قد أشرك معه فصدقوه واستجابوا له.

نهزمهم، أو أقتل فأكلمه بحجتي .غضوا أبصاركم .وعضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا في عـدوكم وامضـوا قدما)

وقال أبو حذيفة :

(يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال)

وقد كانت لهذه الكلمات الحماسية أثرها في النفوس فحمل خالد في الناس حتى ردهم إلى أبعد مما كانوا واشـتد القتال وقاتل العدو قتال المستميت .وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين، وتارة ابني حنيفة .وقتل سالم وأبو حذيفة وزيد بن الخطاب وغيرهم من كبار المسلمين.

ولما رأى خالد ما الناس فيه واختلاط جيشه، أراد أن يميزهم لتدب فيهم روح الغيرة فقال:

(امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى)

وكان أهل البوادي قد جنبوا المهاجرين والأنصـار، وجنبهم المهاجرين والأنصار .فلما امتازوا قـال بعضـهم

لبعض (اليوم يستحى من الفرار) فما رئي يوم أعظم نكاية، غير أن القتل كان في المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منه في البوادي.

وثبت مسيلمة فدارت رحاهم عليه، وأدرك خالد أن الحالة لا تهدأ إلا إذا قتل مسيلمة فحمل عليهم ودعـا إلـى البراز ونادى بشعار المسلمين يومئذ وكان (يا محمداه) فلـم يبرز إليه أحد إلا قتله، وحمل على مسيلمة ففر وفر أصحابه، وصاح خالد في الناس فهجموا عليهم فكانت الهزيمة، ونادى المحكم بن الطفيل وهو أحد قواد بني حنيفة المشهورين (يـا بني حنيفة الحديقة .الحديقة)[٦٠] ثم رماه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بسهم فوضعه في نحره فقتله .وكان ممن دخل الحديقة مسيلمة .وقال البراء بن مالك (يا معشر المسـلمين ألقوني عليهم في الحديقة) فتردد المسلمون خوفا عليه .ثـم احتملوه فألقوه .فلما أشرف على الحديقة من الجدار اقـتحم فقاتلهم عن باب الحديقة التي كانـت مغلقـة حتـى فتحهـا للمسلمين فاندفع المسلمون إليها كالسيل الجارف، فأغلق الباب

---

[٦٠] الحديقة هي بستان في أرض اليمامة لمسيلمة مسور بحائط قوي كانوا يسمونه "حديقة الرحمن "فسموه" حديقة الموت."

عليهم بعد دخولهم جميعا، ورمى بالمفتاح من وراء الجـدار حتى لا يتمكن أحد من الخروج فاقتتلوا قتالا شـديدا وقتـل مسيلمة .قتله وحشي مولى جبير بن مطعـم ورجـل مـن الأنصار كلاهما قد أصابه .ووحشي هذا هو قاتل حمزة كما تقدم في السيرة النبوية .فولت بنو حنيفة عند قتله منهزمـة وأخذهم السيف من كل جانب حتى قتلوا عن آخرهم وأخبر خالد بقتل مسيلمة فخرج بمجاعة يرسف في الحديد ليدله على مسيلمة وأخذ يكشف له عن جثث القتلى حتى عثر عليه .فقال مجاعة لخالد (ما جاءك إلا سرعان الناس[٦١] وإن جمـاهير الناس لفي الحصون) فقال ويلك ما تقول؟ قال هو واللّه الحق فهلم لأصالحك عن قومي، وكان خالد نهكته الحرب وأصيب معه من أشراف الناس من أصيب فقد رق وأحـب الدعـة والصلح .ثم قال مجاعة :(أنطلق إليهم فأشاورهم وننظر في هذا الأمر فأرجع إليك) فانطلق ودخل الحصون، وليس فيها إلا النساء والصبيان، ومشيخة فانية ورجال ضعفى فظـاهر الحديد على النساء وأمرهن أن ينشرن شعورهن وأن يشرفن على رؤوس الحصون حتى يرجع إليهم ثم رجع فأتى فقال :

---

[٦١] سرعان الناس :أوائلهم.

قد أبوا ما صالحتك عليه وقد أشرف لك بعضهم نقضا علي وهم مني براء - فنظر خالد إلى رؤوس الحصـون وقـد اسودت - ولكن إن شئت صنعت شيئا فعزمت على القـوم . قال ما هو؟ قال تأخذ مني ربع السبي وتدع ربعا .فقال قـد فعلت .قال :قد صالحتك.فلما فرغ فتحت الحصون فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ فقال خالد لمجاعة :ويحك خدعتني .قال :قومي ولم أستطع إلا ما صنعت.

وقيل صالحه خالد على الذهب والفضـة والسـلاح ونصف السبي ولما عرض هذا الصلح عارض قوم من بني حنيفة، ومنهم سلمة بن عمير الحنفي فإنه أبـى إلا الحـرب وتجنيد أهل القرى والعبيد غير أن مجاعة أصر على الصلح وكتب خالد كتاب الصلح وهذا نصه:

(هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير وفلانا وفلانا :قاضاهم علـى الصـفراء، والبيضاء[٦٢] ونصف السبي والحلقة[٦٣] والكراع[٦٤] وحـائط

---

[٦٢] الذهب والفضة.

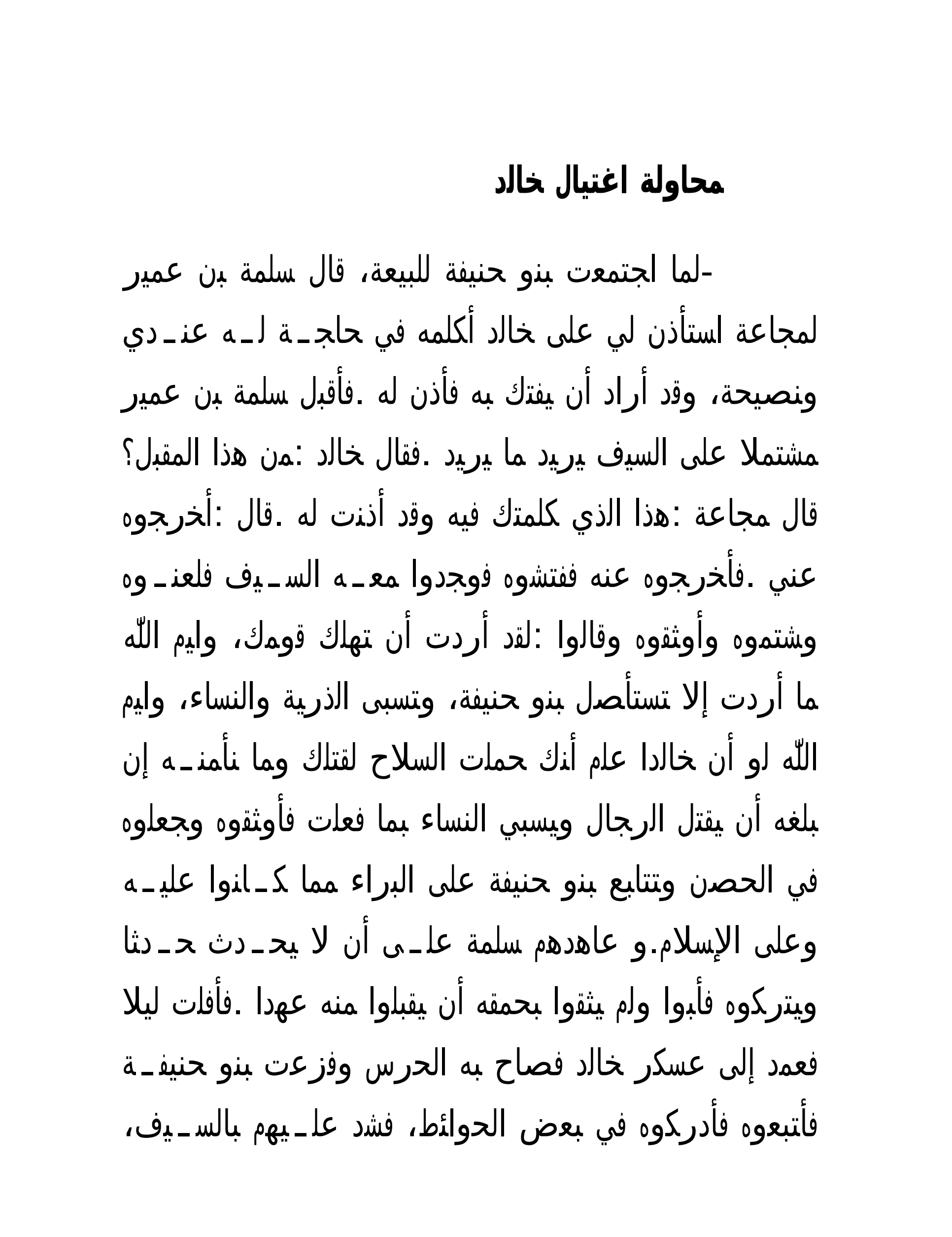
[٦٣] السلاح.

[٦٤] الكراع وزان غراب :الخيل.

من كل قرية ومزرعة على أن يسلموا ثم أنتم آمنون بأمـان اللّه ولكم ذمة خالد بن الوليد، وذمة أبي بكر خليفة رسـول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وذمم المسلمين على الوفاء)

ثم وصل كتاب أبي بكر إلى خالد أن يقتل كل محتلم لكنه وصل متأخرا لأن خالدا كان قد صالحهم فوفى لهم ولم يغدر، والذي أوصل كتاب أبي بكر هو سلمة بن سلامة بن وقش.

وحشرت بنو حنيفة إلى البيعة والبراءة مما كـانوا عليه إلى خالد، وخالد في عسكره.



محاولة اغتيال خالد

-لما اجتمعت بنو حنيفة للبيعة، قال سلمة بن عمير لمجاعة استأذن لي على خالد أكلمه في حاجـة لـه عنـدي ونصيحة، وقد أراد أن يفتك به فأذن له .فأقبل سلمة بن عمير مشتملا على السيف يريد ما يريد .فقال خالد :من هذا المقبل؟ قال مجاعة :هذا الذي كلمتك فيه وقد أذنت له .قال :أخرجوه عني .فأخرجوه عنه ففتشوه فوجدوا معـه السـيف فلعنـوه وشتموه وأوثقوه وقالوا :لقد أردت أن تهلك قومك، وايم اللّه ما أردت إلا تستأصل بنو حنيفة، وتسبى الذرية والنساء، وايم اللّه لو أن خالدا علم أنك حملت السلاح لقتلك وما نأمنـه إن بلغه أن يقتل الرجال ويسبي النساء بما فعلت فأوثقوه وجعلوه في الحصن وتتابع بنو حنيفة على البراء مما كـانوا عليـه وعلى الإسلام.و عاهدهم سلمة علـى أن لا يحـدث حـدثا ويتركوه فأبوا ولم يثقوا بحمقه أن يقبلوا منه عهدا .فأفلت ليلا فعمد إلى عسكر خالد فصاح به الحرس وفزعت بنو حنيفـة فأتبعوه فأدركوه في بعض الحوائط، فشد علـيهم بالسـيف،

فاكتنفوه بالحجارة، وأجال السيف على حلقه فقطع أوداجه[٦٥]

زواج خالد للمرة الثانية

-تقدم عند ذكر قصة مالك بن نويرة أن خالد بـن الوليد تزوج أم تميم امرأة مالك بعد قتله، وأن أبا بكر لمـا استدعاه إليه عنفه على ذلك لكنه في هـذه المـرة أراد أن يتزوج أيضا بابنة مجاعة فعرض عليه ذلك .فقال له مجاعة : (مهلا إنك قاطع ظهري، وظهرك معي عند صاحبك (قال : أيها الرجل زوجني فزوجه .فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه كتابا شديد اللّهجة وهذا ما جاء فيه:

(لعمري يا ابن أم خال إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجف بعد)

فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول :(هـذا عمـل الأعيسر يعني عمر بن الخطاب)[٦٦]

---

[٦٥]الودج بفتح الدال والكسر لغة :عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة .والودجان عرقان غليظان يكتنفان ثغرة النحر يميناً ويساراً والجمع أوداج مثل سبب وأسباب.

[٦٦]راجع تعليقنا على زواج سيدنا خالد ص ٥٦ (المنقح)

ثم ذهب وفد من بني حنيفة إلى أبي بكر وقص عليه ما كان من أمر مسيلمة، وسألهم عن بعض أسجاع مسـيلمة فقالوا له شيئا منها فقال (ويحكم إن هذا الكلام ما خـرج إلا من إلّ ولا بِر فأين يذهب بكم)؟

خسائر بني حنيفة :قتل بعقرباء٧٠٠٠ ، وبالحديقـة نحو٧٠٠٠ ، وفي الطلب نحو منها، وكانت موقعة عقربـاء أعظم مواقع أهل الردة.

خسائر المسلمين :قتل من المهاجرين والأنصار من المدينة ٣٦٠ ومن المهاجرين من غيـر المدينـة ٣٠٠ أو يزيدون عدا الجرحى.

أسماء من قتل باليمامة من مشهوري الصحابة

١. أبو حبة بن غزية الأنصاري.

٢. أبو دجانة الأنصاري.

٣. أبو عقيل البلوي.

٤. أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي.جنادة بن عبد اللّه المطلبي القرشي.

٥. زرارة بن قيس الأنصاري.

٦. السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي.

٧. السائب بن العوام أخو الزبير لأبويه سعد بن جماز الأنصاري.

٨. سعد بن جماز الأنصاري.

٩. سلمة بن مسعود بن سـنان الأنصاري.

١٠. شجاع بن وهب الأسدي.

١١. صفوان بن عمرو.

١٢. ضرار بن الأزور الأسدي.

١٣. الطفيل بن عمرو الدوسي.

١٤. عامر بن ثابت بن سـلمة الأنصاري.

١٥. عائذ بن ماعص الأنصاري.

١٦. عباد بن بشر الأنصاري.

١٧. عباد بن الحارث الأنصاري.

١٨. عبد اللّه بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي.

١٩. عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبي

سلول.

٢٠. عبـد اللّـه بـن عتيـك الأنصاري.

٢١. عبد اللّه بن مخرمة بن عبد العزى العامري.

٢٢. علي بن عبيـد اللّـه بـن الحارث.

٢٣. عمارة بن حزم الأنصاري.

٢٤. عمير بن أوس بن عتيـك الأنصاري.

٢٥. فروة بن النعمان.

٢٦. قيس بن الحارث بن عدي الأنصاري.

٢٧. مالك بن أمية السلمي.

٢٨. مالك بن عمرو السلمي.

٢٩. مالك بن أوس بن عتيك الأنصاري.

٣٠. مسعود بن سنان الأسود.

٣١. معن بن عدي بن الجد البلوي.

٣٢. النعمان بن عصر بن الربيع البلوي.

٣٣. هريم بن عبد اللّه المطلبي القرشي.

٣٤. ورقة بن إياس بن عمرو الأنصاري.

٣٥. الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومي ابن عم خالد.

٣٦. يزيد بن أوس.

٣٧. يزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت.

أسجاع مسيلمة

-كان مسيلمة يصانع قومه ويلاطفهم مـع ادعائـه النبوة ليلتفت قومه حوله وليكثر أتباعه وأنصاره، وقد ساعده على ذلك نهار الرجال بن عنفوة الذي كان قد هـاجر إلـى النبي صلى اللّه عليه وسلم وقرأ القرآن وفقه في الدين وبعثه معلما لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة، لكنه ما لبـث أن انضم إلى مسيلمة وصدقه في الظاهر .لذلك قيل إنـه كـان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة، وهو الذي شـهد أن محمدا صلى اللّه عليه وسلم شهد لمسيلمة أنه رسول اللّـه . وقد اتفق المؤرخون على أن مسيلمة ادعى النبوة قبل وفـاة رسول اللّه، غير أن الأستاذ مرجوليث يزعم أنه تنبـأ قبـل مبعث رسول اللّه، وهذا من الغرابة بمكان وليس في التاريخ ما يؤيد زعمه .فما الذي ألجأه إلى ذلك؟ إن السبب الذي دعاه إلى ذلك هو نفس السبب الذي دفعه إلى الاعتراض والطعن في السيرة النبوية لتشويهها، إنه يريد أن يفهـم القـارئ أن رسول اللّه هو الذي قلد مسيلمة وحذا حذوه، فادعى النبوة،

وهو يعلم حق العلم أن مسيلمة كذاب، وأنه مقلد طامع فـي الملك، ولهذا قدم إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم في وفد بني حنيفة وسأله أن يشركه معه في النبـوة فـأبى وحـاول أن يضاهي القرآن تغريرا بعقول السذج من قومه فجاء كلامـه سخيفا.

وإنا بعد ذلك نورد من أسجاعه ما عثرنا عليه ليتبين القارئ هذا المتنبئ ومبلغ علمه.

١- والليل الدامس .والذئب الهامس ما قطعت أسـيد من رطب ولا يابس.

٢- والليل الأطحم والذئب الأدلم والجذع الأزلم مـا انتهكت أسيد من محرم.

٣- إن بني تميم قوم طهر لقاح لا مكروه عليهم ولا إتاوة .نجاورهم ما حيينا بإحسان .نمنعهم من كل إنسان .فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن.

٤- والشاء وألوانها .وأعجبها السود وألبانها .والشاة السوداء واللبن الأبيض، إنه لعجب محض .وقد حرم المذق

فما لكم لا تمجعون.

٥- يا ضفدع ابنة ضفدعين .نقي ما تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين .لا الشـارب تمنعـين .ولا المـاء تكدرين.

٦- والبذرات زرعا .والحاصدات حصدا .والذاريات قمحا .والطاحنات طحنا .والخابزات خبزا .والثاردات ثردا . واللاقمات لقما .إهالة وسمنا .لقد فضلتم على أهل الوبر .وم سبقكم أهل المدر .ريفكم فامنعوه .والباغي فناوئوه.

أعمال مسيلمة المشؤومة

-لما ادعى مسيلمة النبوة لم يكتف قومـه بسـماع أسجاعه لتصديقه فيما يدعي ولا سيما أنـه كـان يـبلغهم معجزات النبي التي بهرت ألباب العرب، فكانوا يأتون إليـه ملتمسين منه المعونة عند الحاجة وليروا قدرته على إتيـان المعجزات كجميع الأنبياء، فكان يرى نفسه مضـطرا إلـى إجابة مطالبهم وإلا كذبوه وسخروا منه وانصرفوا من حوله، فحاول أن يظهر لهم بعض أعماله بيد أنه لم يوفق في واحد منها، ويا ليته لم يوفق فقط، بل كانتتـأتي أعمـال بعكـس

المقصود .وهذا خذلان وخزي من اللّه تعالى ليتجلى للخلق كذبه وشؤمه على من أتباعه.

أتته امرأة فقالت :إن نخلنا لسحق وإن آبارنا لجـرز فادع اللّه لمائنا ونخلنا كما دعا محمد صلى اللّه عليه وسـلم لأهل هزمان، فسأل نهارا عن ذلك فذكر أن النبي صلى اللّه عليه وسلم دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضـمض منـه ومجه في الآبار ففاضت ماء وأنجبت كل نخلـة وأطلعـت فسيلا قصيرا مكمما، ففعل مسيلمة مثله فغار مـاء الآبـار ويبس النخل والعياذ باللّه.

وقال له نهار :أمرر يدك على أولاد بني حنيفة مثل محمد، ففعل وأمر يده على رؤوسهم وحنكهم ، فقرع كـل صبي مسح رأسه، ولثغ كل صبي حنكه.

وجاء أبو طلحة النمري فسأله عن حاله فأخبره أنه يأتيه رجل في ظلمة فقال :(أشهد أنك الكـذاب وأن محمـدا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر) فقتل معه يوم عقرباء كافرا.

وقالوا لمسيلمة تتبع حيطانهم كما كان محمد يصـنع

فصل بها .فدخل حائطا من حوائط اليمامة فتوضأ، فقال نهار لصاحب الحائط :ما يمنعك من وضوء الرحمن فتسقي بـه حائطك حتى يروى ويبتل كما صنع بنو المهرية - أهل بيت من بني حنيفة - وكان رجل من المهرية قدم علـى النبـي صلى اللّه عليه وسلم فأخذ وضوءه فنقله إلى اليمامة فأفرغه في بئره ثم نزع وسقى وكانت أرضه تهوما فرويت وجزأت فلم تلف إلا خضراء مهتزة، ففعل الرجل فعادت يبابا لا ينبت مرعاها.

وأتاه رجل فقال :ادع اللّه لأرضي فإنها مسبخة كما دعا محمد لسلمى على أرضه، فقال ما يقول يا نهار، فقـال قدم عليه سلمى وكانت أرضه سبخة فدعا له وأعطاه سجلا من ماء ومج له فيه فأفرغه في بئره ثم نزع فطابت وعذبت ففعل ذلك، فانطلق الرجل ففعل بالسجل كما فعـل سـلمى فغرقت أرضه فما جف ثراها ولا أدرك ثمرها .وأتته امرأة فاستجلبته إلى نخل لها يدعو لها فيها فجذت كبائسـها يـوم عقرباء كلها .

هذه بعض أعمال مسيلمة المشئومة التي أراد اللّـه سبحانه وتعالى أن يفضحه بها، وقد أشرنا إلـى أن مسـتر

مرجوليث زعم أن مسيلمة ادعى النبوة قبل النبي صلى اللّه عليه وسلم، لكن هناك ما يثبت عكس زعمه، فإنه حول تقليد الإسلام فأخفق، فمن ذلك أن عبد اللّه بن النواحة كان يؤذن له، وكان الذي يقيم له حجير بن عمير فيزيد فـي صـوته ويبالغ((٨لتصديق نفسه وتصديق نهار وتضليل من كان قد أسلم.

ردة أهل البحرين((١سنة١١ هـ ٦٣٣ - ٦٣٢) م(

-بينما كان خالد بن الوليد يواصل انتصاراته مـن شمال شبه الجزيرة العربية إلى وسطها كانت الجيوش التي أرسلها أبو بكر تحارب القبائل المرتدة والثائرة في الجهات الأخرى .وكان المنذر بن ساوى العبدي عاملا على البحرين في زمن رسول اللّه غير أنه مرض فمات بعد النبي صـلى اللّه عليه وسلم بقليل فارتد بعده أهل البحرين وارتدت بكر.

وكان الجارود بن المعلى قدم على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في وفد عبد قيس سنة عشر، فأسـلم وكـان نصرانيا، ففرح النبي صلى اللّه عليه وسلم بإسلامه فأكرمه

وقربه .وبعد أن تفقه في الدين رده إلى قومه عبد القيس فلما توفي رسول اللّه بلغه أنهم قالوا (لو كان محمد نبيا لم يمت) فجمعهم وقال لهم:

(أتعلمون أنه كان للّه أنبياء فيما مضى؟ قالوا نعـم . قال فما فعلوا؟ قالوا ماتوا .قال فإن محمدا صلى اللّه عليـه وسلم قد مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إلـه إلا اللّـه وأن محمدا رسول اللّه) فأسلموا وثبتوا على إسلامهم.

وكان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردة بالبحرين، فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامـة بن أثال الحنفي في مسلمة بني حنيفة، ولحق به أيضا قـيس بن عاصم المنقري، وانضم إليه عمرو والأبناء، وسعد بـن تميم، والرباب لحقته في مثل عدته فسلك بهم الدهناء حتـى كانوا في بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول في الليل فنفرت إبلهم بأحمالها فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء، فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا اللّه ووصى بعضهم بعضا، فدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه فقال :(ما هذا الذي غلب علـيكم مـن الغم؟)

فقالوا :(كيف نلام ونحن إن بلغنا غدا لم تحم الشمس حتى نهلك(؟.

فقال :(لن تراعوا أنتم المسلمون وفي سـبيل اللّـه وأنصار اللّه فأبشروا فواللّه لن تخذلوا)

كرامة العلاء بن الحضرمي

-كان العلاء بن الحضرمي مجاب الدعوة فلما صلى الجيش صلاة الصبح جثا العلاء لركبتيه وجثا الناس فنصب في الدعاء ونصبوا معه، فلمع لهم سراب الشمس فالتفت إلى الصف .فقال رائد ينظر ما هذا، ففعل ثم رجع فقال (سراب) فأقبل على الدعاء ثم لمع لهم آخر فكذلك، ثم لمع لهم آخر . فقال (ماء (فقام وقام الناس فمشوا إليه حتـى نزلـوا إليـه، فشربوا واغتسلوا، فما ارتفع النهار حتى أقبلت الإبل من كل وجه فأناخت وشربت، ولم يكن بهذا المكان غدير ولا مـاء قبل اليوم، ثم ساروا فنزلوا بهجر، وأرسـل العـلاء إلـى الجارود يأمره أن ينزل بعبد القيس على الحطم مما يليـه، وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه فيما بلى هجر.

تجمع المشركون كلهم إلى الحطم بن ربيعة إلا أهل

دارين وتجمع المسلمون كلهم إلى العلاء بن الحضرمي.

حرب الخنادق

-كان كل فريق متخوفا من الآخر فخندق المسلمون والمشركون ولبثوا يتراوحون القتال ويراجعون إلى خنادقهم شهرا.

جيش العدو يلهو ويسكر

-طال مكث الجيشين في الخندق، ففي ذات ليلة سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شـديدة، فأرسـل العلاء عبد اللّه بن حذف ليأتيهم بخبر القوم، فعاد وأخبـرهم أن القوم سكارى، فخرج المسلمون عليهم، واقتحموا الخندق، ووضعوا السيوف فيهم، واستولى المسلمون على مـا فـي العسكر، وقتل الحطم، قتله قيس بن قيس بن عاصم بعـد أن قطع عفيف بن المنذر التيمي ساقه، وقسم العلاء الأنفال ونفل رجالا من أهل البلاء ثيابا .فأعطى ثمامة بن أثال الحنفـي خميصة ذات أعلام كانت للحطم يباهي بها وهي التي كانت

سببا في قتله[٦٧]

المسير إلى دارين وكرامة أخرى للعلاء

-ثم قصد معظم الجيش إلى دارين وهـي فرضـة بالبحرين، وإن ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفر البحر في بعض الحالات .فركبوا إليها السفن ولحق بـاقي الجيش ببلاد قومهم، فكتب العلاء إلى من ثبت على إسلامه من بكر وائل يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتـدين بكـل طريق ففعلوا، وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك فأمر أن يؤتى من وراء ظهره فندب الناس إلى دارين وقال لهم:

(قد أراكم اللّه من آياته في البر لتعتبروا بهـا فـي البحر فانهضوا إلى عدوكم واستعرضوا البحر)

وبعد ذلك ارتحلوا واقتحموا البحر على الخيل والإبل وغير ذلك وفيهم الماشي على قدميه ودعا ودعـوا وهـذا دعاؤهم :

(يا أرحم الراحمين، يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد

---

[٦٧] أي في قتل ثمامة بعد ذلك.

يا حي يا محيي الموتى يا حي يا قيوم .لا إله إلا أنت يا ربنا)

فاجتازوا ذلك الخليج بإذن اللّه يمشون على رمل فوقه ماء يغمر أخفاف الإبل.

انتصار المسلمين وهزيمة المشركين

-التقى المسلمون والمشركون واقتتلوا قتالا شديدا فانتصر المشركون وانهزم المشركون .وأكثر المسلمون القتل فيهم وغنموا وسبوا فبلغ نفل الفارس ستة آلاف والراجل ألفين، وقال في ذلك عفيف بن المنذر :

ألم تر أن اللّه ذلل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

وجاء في أسد الغابة أن العلاء بن الحضرمي هو من حضرموت حليف حرب بن أمية وقد خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها.

إسلام راهب

-كان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم، فقيل له :ما حملك على الإسلام؟ قال :ثلاثة أشـياء خشـيت أن يمسخني اللّه بعدها[٦٨]

١- فيض في الرمال.

٢- تمهيد أثباج البحر (أي أعليه أو معظمه)

٣- دعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سحرا:

(اللّهم أنت الرحمن الرحيم لا إله غيـرك، والبـديع فليس قبلك شئ، والدائم غير الغافل، الحي الذي لا يمـوت، وخالق ما يرى وما لا يرى، وكل يوم أنت في شأن علمـت كل شئ بغير تعلم)

فعلمت أن القوم لم يعاونوا بالملائكة إلا وهم علـى حق، فكان أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم يسمعون هذا منه بعد، ولم يرو لنا التاريخ اسم هذا الراهب الذي أسلم.

---

[٦٨] أي إذا لم يسلم.

كتاب العلاء لأبي بكر

-كتب العلاء إلى أبي بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطم وهذا نص الكتاب:

(أما بعد فإن اللّه تبارك اسمه سلب عدونا عقـولهم وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار، فاقتحمنا علـيهم خندقهم فوجدناهم سكارى فقتلناهم إلا الشريد وقد قتل الحطم)

فكتب إليه أبو بكر :(أما بعد فإن بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة تمام على ما بلغك وخاض فيه المرجفون فابعـث إليهم جندا فأوطئهم وشرد بهم من خلفهم فلم يجتمعوا ولـم يصر ذلك من إرجافهم إلى شيء)

ردة أهل عمان ومهرة

-عمان اسم كورة عربية على ساحل بحـر الـيمن والهند تشتمل على بلدان كثيـرة ذات نخـل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل .قال الزجاجي سميت عمان بعمان بن إبراهيم الخليل، وعمان أرض جبلية يكتنفها الجبل الأخضر وسلسلة جبال أخرى صغيرة بالقرب مـن سـاحل البحـر،

وعاصمتها الآن مسقط على الخليج الفارسي.

ومهرة .قال صاحب معجم البلدان بالفتح والسـكون هكذا يرويه عامة الناس، والصحيح مهرة بالتحريك وجدتـه بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لا يختلفون فيه، هذا ما أثبته ياقوت في معجمه، غير أن دائرة المعارف الإسـلامية كتبتها بالكون هكذا Mahra وكتاب القرون الوسطى لجامعة كامبردج الجزء الثاني وكان الواجب أن تصحح بالتحريـك Mahara. كذلك وقع في نفس هذا الخطأ مستر موير في كتاب الخلافة .وتقع مهرة في الجنوب الشرقي مـن شـبه جزيرة العرب على المحيط الهندي بين حضرموت وعمان.

نبغ بعمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي، وكـان يسامى في الجاهلية الجلندي، وادعى النبوة، وغلـب علـى عمان مرتدا، والتجأ جيفر بن الجلندي رئيس أهـل عمـان وعباد إلى الجبل والبحر، ثم بعث جيفر إلى أبي بكر يطلب منه النجدة، فأرسل إليه حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير، وأرسل عرفجة البارقي من الأزد إلى مهرة، فإذا قربا مـن عمان كاتبا جيفرا، فمضيا إلى ما أمرا به، وكان أبو بكـر بعث عكرمة إلى مسيلمة باليمامة، واتبعه شرحبيل بن حسنة

وأمرهما بما أمر به حذيفة وعرفجة، فإذا فرغا منه سارا إلى اليمن فلحقهما عكرمة قبل عمان، فلما وصلوا رجاما وهـي قريب من عمان كاتبوا جيفرا وعبادا، وبلـغ لقيطـا مجـئ الجيش فجمع جموعه وعسكر بدبا وخرج جيفر وعباد مـن موضعهما الذي كانا فيه فعسكرا بصحار وأرسلا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما، وكاتبوا رؤساء مع لقـيط وانفضوا عنه ثم التقوا على دبا فاقتتلوا قتالا شـديدا كانـت الغلبة فيه للقيط، ورأى المسلمون الخلل والمشركون الظفر، وبينما هم كذلك جاءت المسلمين النجدات من بنـي ناجيـة، وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم، فقوى الله المسلمين فـولى المشـركون الأدبار وقتل منهم في المعركـة نحـو (١٠,٠٠٠) وسـبوا الذراري وقسموا الأموال وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مـع عرفجة وكان الخمس ٨٠٠ رأس، وبقي حذيفة يسكن الناس ويحفظ النظام.

أما مهرة فإن عكرمة بن أبي جهل سار إليهم بعد أن فرغ من عمان ومعه جيوش من ناجيـة، وعبـد القـيس، وراسب، وسعد، فاقتحم بلادهم فوجد جمعين مـن مهـرة،

أحدهما مع رجل منهم يقال له شخريت والآخر مع مصـبح أحد بني محارب، ومعظم الناس معه غير أنهما كانا مختلفين، فكاتب عكرمة شخريتا قبل أن يحاربه، فأجابه وأسلم وانضم 'ليه ثم كاتب المصبح الذي كان معه معظم الناس فلم يجـب اغترارا بكثرة جيشه فسار إليه مع شخريت وحاربه فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم، وأصاب المسلمون كثيرا من الغنائم، ومما أصابوا (٢٠٠٠) نجيبة وأرسل عكرمة خمس الغنـائم إلى أبي بكر مع شخريت، واشتدت شوكة عكرمة، وأسـلم المرتدون.

ردة اليمن

-ارتد قيس بن عبد يغوث بن مكشوح باليمن ثانية لما بلغه وفاة رسول اللّه، مع أنه كان اشـترك هـو وفيـروز وداذويه في قتل الأسود العنسي كما تقدم ذكره، فلما ارتـد أراد التخلص من فيروز وداذويه فخدعهما ودعاهمـا إلـى طعام صنعه لهما فدخل عليه داذويه فقتله، وأما فيروز فلما هم بالدخول سمع امرأتين على سـطحين تتحـدثان فقالـت إحداهما :هذا مقتول كما قتل داذويه ففر إلى جبل خولان وهم أخوال فيروز فامتنع بهم وكتب إلى أبي بكر يخبره وعمـد

قيس إلى تفريق الأنباء، فلما علم فيروز جـد فـي حربـه،
وأرسل إلى بني عقيل بن ربيعة وإلى عك يستمدهم فمـدوه
بالرجال فخرج بهم وبمن اجتمع عنده، فلقوا قيسا بالقرب من
صنعاء فاقتتلوا قتالا شديدا انهزم قيس وأصحابه .وبينما هم
كذلك قدم عكرمة بن أبي جهل من مهرة مع جيشـه وقـدم
أيضا المهاجر بي أبي أمية في جمع مـن مكـة والطـائف
وبجيلة مع جرير إلى نجران فانضم إليه فروة بـن مسـيك
المرادي فأقبل عمرو بن معدي كرب الذي كان قد ارتد حتى
دخل على المهاجر من غير أمان فأوثقه المهاجر وأخذ قيسا
أيضا فأوثقه وسيرهما إلى أبي بكر فقال لقيس:

(يا قيس قتلت عباد اللّه واتخذت المرتدين وليجة من
دون المؤمنين (فانتفى قيس من أن يكون قارف من داذويـه
شيئا، وكان قتله سرا فتجافى له عن دمه.

وقال لعمرو بن معدي كرب:

(أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسـور .لـو
نصرت هذا الدين لرفعك اللّه)

فقال :لا جرم لأقبلن ولا أعود فخلى أبو بكر سبيله.

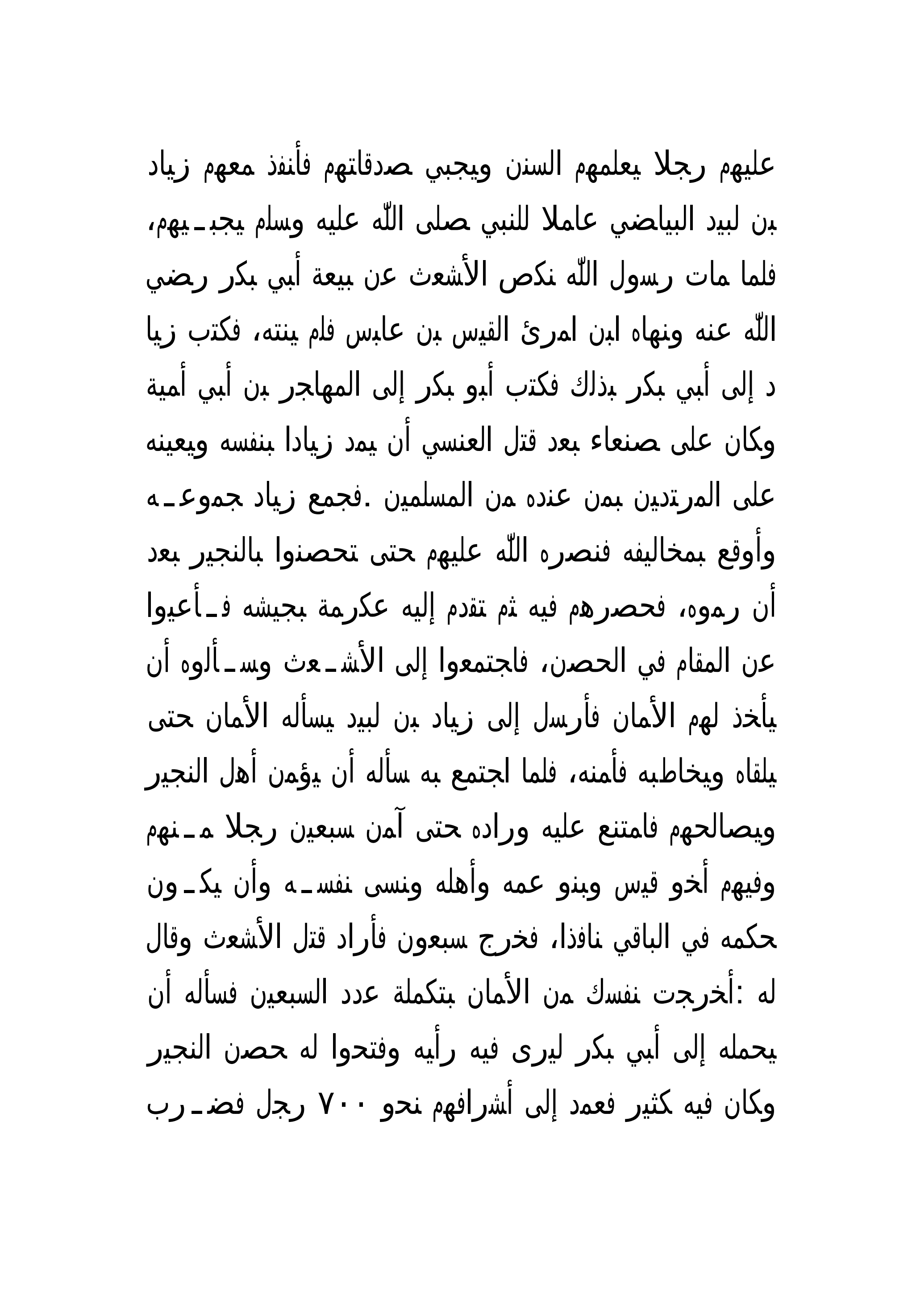
ورجعا إلى عشائرهما فسار المهاجر مـن نجـران والتقت الخيول على أصحاب العنسي فاستأمنوا فلم يـؤمنهم وقتلهم بكل سبيل ثم سار إلى صنعاء فدخلها وكتب إلى أبي بكر بذلك.

ردة حضرموت وكندة

-حضرموت صـقع بـبلاد العـرب قيـل سـمي بحضرموت بن قحطان لأنه أول من نزله، وكان اسم هـذا الرجل عامرا، فكان إذا حضر حربا أكثر من القتل فصاروا يقولون عند حضوره حضرموت ثم جرى ذلك عليـه لقبـا وسكنوا الضاد للتخفيف، وجعلوا الاسم مركبا مزجيا علـى الأشهر، ثم صاروا يقولون للأرض التي كانت بها هذه القبيلة حضرموت ثم أطلق على البلاد نفسها.

تحد حضرموت غربا باليمن وشرقا بعمان وشـمالا بالدهناء، وقال ياقوت وهي ناحية واسعة في شرقي عـدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف.

كان الأشعث بن قيس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد كندة من حضرموت فأسلموا وسألوا أن يبعث



عليهم رجلا يعلمهم السنن ويجبي صدقاتهم فأنفذ معهم زياد بن لبيد البياضي عاملا للنبي صلى اللّه عليه وسلم يجبـيهم، فلما مات رسول اللّه نكص الأشعث عن بيعة أبي بكر رضي اللّه عنه ونهاه ابن امرئ القيس بن عابس فلم ينته، فكتب زيا د إلى أبي بكر بذلك فكتب أبو بكر إلى المهاجر بن أبي أمية وكان على صنعاء بعد قتل العنسي أن يمد زيادا بنفسه ويعينه على المرتدين بمن عنده من المسلمين .فجمع زياد جموعـه وأوقع بمخاليفه فنصره اللّه عليهم حتى تحصنوا بالنجير بعد أن رموه، فحصرهم فيه ثم تقدم إليه عكرمة بجيشه فـأعيوا عن المقام في الحصن، فاجتمعوا إلى الأشـعث وسـألوه أن يأخذ لهم الأمان فأرسل إلى زياد بن لبيد يسأله الأمان حتى يلقاه ويخاطبه فأمنه، فلما اجتمع به سأله أن يؤمن أهل النجير ويصالحهم فامتنع عليه وراده حتى آمن سبعين رجلا مـنهم وفيهم أخو قيس وبنو عمه وأهله ونسى نفسـه وأن يكـون حكمه في الباقي نافذا، فخرج سبعون فأراد قتل الأشعث وقال له :أخرجت نفسك من الأمان بتكملة عدد السبعين فسأله أن يحمله إلى أبي بكر ليرى فيه رأيه وفتحوا له حصن النجير وكان فيه كثير فعمد إلى أشرافهم نحو ٧٠٠ رجل فضـرب

أعناقهم ولام القوم الأشعث وقالوا لزياد :إن الأشعث غـدر بنا .أخذ الأمان لنفسه وأهله وماله ولم يأخذ لنا وإنما نـزل على أن يأخذ لنا جميعا .وأبى زياد أن يوارى جثث من قتل وتركهم للسباع وكان هذا أشد على من بقي من القتل، وبعث السبي مع نهيك بن أوس بن خزيمة وكتب إلى أبي بكر' :نا لم نؤمنه إلا على حكمك، وبعث الأشعث في وثاق وماله معه ليرى فيه رأيه، فأخذ أبو بكر يقرع الأشعث ويقـول لـه : فعلت، فعلت .فقال الأشعث :استبقني لحربك، وسأله أن يرد عليه زوجته وقد كان خطب أم فروة بنت أبي قحافة أخـت أبي بكر لما قدم على رسول اللّه فزوجه وأخرها إلى أن يقدم الثانية .فحقن أبو بكر دمه بعد أن أسلم أمامه ورد عليه أهله وقال له (انطلق فليبلغني عنك خير)

ولما تزوج الأشعث أم فروة اخترط سـيفه ودخـل سوق الإبل فجعل لا يرى جملا ولا ناقة إلا عرقبه وصـاح الناس (كفر الأشعث) فلما فرغ طرح سيفه وقال :إني واللّه ما كفرت ولكن زوجني هذا الرجل أخته ولو كـان ببلادنـا لكانت لنا وليمة غير هذه .يا أهل المدينة انحروا وكلوا .ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا أثمانها .فما رؤيت وليمة مثلها.

مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة سنة١٢ هـ - ٦٣٣ م

-كان المثنى بن حارثة الشـيباني ممـن حـارب وانتصر في البحرين، فاستأذن أبا بكر أن يغزو العراق، فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد فتقدم نحو الخليج الفارسـي، وأخضع القطيف، ثم قاد جيشه إلى دلتا الفرات، وبلـغ عـدد جيشه ٨٠٠٠ مقاتل، لكنه وجد مقاومة من جـيش العـدو، فأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهـو باليمامـة يـأمره بالمسير إلى العراق .وقد أخمدت الثورة في جميع العرب في أوائل السنة الثانية عشرة الهجرية، فاهتم أبو بكـر بتوجيـه الجنود إلى جهات أخرى فأرسل جيشين إلى الشمال وأمـر على أحدهما خالدا، ومعه المثنى للزحف نحـو الأبلـة ثـم الزحف نحو الحيرة وأمر على الجيش الثاني عياضا ووجهه إلى دومة بين الخليج الفارسي وخليج العقبة، ثم بالمسير إلى الحيرة أيضا، فإذا سبق أحدهما الآخر كـان أميـرا علـى صاحبه .أما عياض الذي كانت وجهته دومة فقد عوقه العدو مدة طويلة، وأما خالد فإنه لم يلق مقاومة في طريقـه إلـى العراق كما لقي عياض، وانضم إليه عدد كبير مـن البـدو

فتقوى بهم، وكثر جيشه حتى صار عدده ١٠,٠٠٠ مقاتل عدا جيش المثنى البالغ عدده ٨,٠٠٠ وكان الجميع تحت قيـادة خالد .فكان أول من لاقاه هرمز وكان العـرب يبغضـونه لظلمه، ويضربونه مثلا فيقولون :(أكفر من هرمز) فكتـب إليه خالد قبل خروجه:

(أما بعد فأسلم تسلم، أو أعقد لنفسك وقومك الذمـة، وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقـوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)

وقد جعل هرمز على مقدمته قباذ وأنو شجان، وكانا من أولاد أردشير الأكبر، فسمع بهم خالد فمال بالناس إلـى كاظمة فسبقه هرمز إليها، فقدم خالد فنزل على غير مـاء . فقال له أصحابه في ذلك :ما نفعل؟ فقـال لهـم :(لعمـري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين) وتقدم خالـد إلى الفرس، وأرسل اللّـه سـحابة فأغـدرت وراء صـف المسلمين فقويت قلوبهم.

موقعة ذات السلاسل

-خرج هرمز ودعا خالدا إلـى البـراز، وأوطـأ

أصحابه على الغدر بخالد فبرز إليه خالد، ومشى نحوه راجلا ونزل هرمز أيضا وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز فما شغله ذلك عن قتله، وانهزم الفرس بعد أن قتـل منهم عدد عظيم وسميت الموقعة(ذات السلاسل (لأن فريقـا من جند الفرس قد قد قرنهم هرمز بالسلاسـل خوفـا مـن فرارهم .ونجا قباذ وأنوشجان، وأخذ خالد سـلب هرمـز، وكانت قلنسوته بمئة ألف لأنه كان قد تم شرفه في الفـرس، وكانت هذه عاداتهم إذا تم شرف الإنسان تكون قلنسوته بمائة ألف، وكانت القلنسوة مفصصة بالجواهر، وبعث خالد بالفتح والأخماس إلى أبي بكر، ومما غنمه المسلمون فـي ميـدان القتال فيل فأرسل إلى المدينة مع الغنائم .فلما طيف به ليراه الناس جعل ضعيفات النساء يقلن (أمن خلق اللّه هذا؟) فرده أبو بكر.

حصن المرأة وحصن الرجل

-ثم صار خالد حتى نزل بموضع الجسر الأعظـم بالبصرة وخرج المثنى بن حارثة حتى انتهى إلى (حصـن المرأة) فخاف المثنى بن حارثة عليه أخاه فحاصرها ومضى المثنى إلى زوجها وهو في حصنه المسمى (حصن الرجل)

فحاصره واستنزلهم عنوة فقتلهم وغنم أموالهم .ولمـا بلـغ المرأة ذلك صالحت المثنى وأسلمت فتزوجها المثنى، وكان هذا الحصن قصرا واسم المرأة كما جـاء فـي الـبلاذري (كامور زاد بنت نرسي) لأن أبا موسى الأشعري قد نزل بها فزودته خبيصا فجعل يكثر أن يقول أطعمونا مـن خبـيص (المرأة) فغلب على اسمها.

وقد نال كل فارس في يـوم ذات السلاسـل ١٠٠٠ درهم والراجل الثلث.

انهزام الفرس ثانياً موقعة الثنى صفر سنة١٢ هـ - سنة٦٣٣ م.

-لما وصل خبر انهزام هرمز إلى المدائن عاصمة الفرس، أرسل ملكهم أردشير جيشا آخر وأمر عليه قارن بن قريانس .فلما انتهى إلى المذار انضم إلى الجيش المنهـزم ورجعوا ومعهم قباذ وأنو شجان ونزلوا الثنى وهـو نهـر متفرع من الدجلة والتقوا بالمثنى الذي كان قد توقف عنـد الثنى فأحدق الخطر بالمثنى، فوافاه خالد والتقوا في الوقـت المناسب، ودارت رحى القتال بينهم وانتهى الأمـر بفـرار

الفرس، وقتل مهم نحو ٣٠,٠٠٠ سوى من غرق وفر مـن نجا منهم بالقوارب .وقد كان النهر عائقا في سبيا اقتفاء أثر العدو، غير أن الغنائم كانت عظيمة، وقتل كل رجل قـادر على الحرب، وأسر النساء، وأخذ الجزية مـن الفلاحـين، وصاروا ذمة، وصارت أرضهم لهم، وكان في السبي أبـو الحسن البصري وكان نصرانيا وأمر على الجند سعيد بـن نعمان وعلى الجزية سويد بن مقرن المزني.

أما قارن بن قريانس أمير جيش الفرس الذي أرسله أردشير لإمداد هرمز فقد قتله معقل بن الأعشى بن النباش، وقتل عاصم أنو شجان وقتل عدي بن حاتم قباذ، وكان قارن قد تم شرفه ولم يقاتل المسلمون بعده أحدا تم شـرفه فـي الأعاجم .وزاد سهم الفارس يوم الثنى على سهمه فـي ذات السلاسل.

موقعة الولجة((١شهر صفر سنة١٢ هـ - إبريل سنة ٦٣٣ م

-اضطرب البلاط الملكي في فـارس مـن جـراء انتصارات العرب، وتحدثوا فيما بينهم بأنه يجـب محاربـة

العرب بعرب مثلهم يعرفون خططهم الحربية .فجند الملـك جيشا عظيما من قبيلة بكر والقبائل الأخرى الموالية له تحت قيادة قائد مشهور منهم يدعى الأندرزغر وكان فارسيا مـن مولدي السواد .وأرسل بهمن جاذويه في أثره ليقود جيـوش الملك وحشر الأندرزغر من بين الحيرة وكسكر، ومن عرب الضاحية، وتقدمت الجيوش المتحدة نحو الولجة بالقرب من ملتقى النهرين.

أما خالد فقد ترك فرقة لحراسة الأراضي التي غزاها في الدلتا وسار للقاء العدو من الثنى، فاشتبك الجيشان فـي الولجة في قتال طويل عنيف، وقد انتصر المسـلمون فيـه بفضل تدابير قائدهم الذي باغت العدو وأجهده بكمـين فـي ناحيتين، وكمين من الخاف، وكانت الهزيمة كاملـة، ففـر الفرس وفر العرب الموالون لهم بعد أن قتل وأسر منهم عدد عظيم، ومضى الأندرزغر منهزما فمات عطشا في الفـلاة، وبذل خالد الأمان للفلاحين فعادوا وصاروا ذمـة، وسـبى الذراري المقاتلة ومن أعانهم.

خطبة خالد

-قام خالد في الناس خطيبا يرغبهم في بلاد العجم . ويزهدهم في بلاد العرب وقال :

(ألا ترون إلى الطعام كرفغ التراب[٦٩] ، وبالله لـم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل، ولم يكن إلا للمعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكـون أولى به، ونولي الجوع والإقلال ممن تولاه، ممن اثاقل عما أنتم عليه)

---

[٦٩] أي كثير.

موقعة أليس[٧٠] شهر ربيع الأول سنة١٢ هـ - أيار مايو سنة ٦٣٣ م

-انقسمت قبيلة بني بكر في القتال إلى قسمين، قسم مع خالد وقسم مع الفرس.

ولما أصاب خالد يوم الولجة من أصاب من بكر بن وائل من أنصارهم الذين أعانوا أهل الفرس، غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الأعاجم فاجتمعوا إلى أليس وعليهم عبد الأسود العجلي، وكان أشد الناس على أولئك النصارى

---

[٧٠]أليس مصغر :في أول أرض العراق من ناحية البادية وهي على صلب الفرس، قال أبو مقرن الأسود بن قطبة يذكر يوم أليس:

بقينا يوم أليس وأمغى ويوم المقر آساد النها.

فلم أر مثلها فضلات حرب أشد على الجحاجحة الكبا.

قتلنا منهم سبعين ألفاً بقية حربهم نخب الأسا.

سوى من ليس يحصى من قتيل ومن قد جال جولان الغبا.

مسلمو بني عجل.

كتب أردشير ملك الفرس إلى بهمن جاذويـه وهـو بقسيانا :أن سر حتى تقدم أليس بجيشك إلى من اجتمع بهـا من فارس ونصارى العرب، فقدم بهمن جاذويـه وجابـان وسار جابان نحو أليس وهي في منتصف الطريق بين الحيرة والأبلة.

ثم انطلق بهمن إلى أردشير ليعرف رأيه ويتلقى أمره فوجده مريضا فبقي ملازما البلاط.

أما جابان فإنه مضى حتى أتى أليس فنزل بها .وكان خالد قد بلغه تجمع عبد الأسود ومن معهم فسار إليهم وهو لا يشعر بدنو جابان، وترك عند الحفير فرقة قويـة لحمايـة ظهره، وبرز أمام الصف ونادى رؤساءهم إلى البـراز لـه فبرز له مالك بن قيس فقال له خالد (يا بن الخبيثة ما جرأك علي من بينهم وليس فيك وفاء؟ (فضربه وقتلـه .ونشـبت الحرب بين الفريقين واقتتلوا قتالاً شديداً.

نهر الدم

-ولما وجد خالد شدة مقاومة العدو قال :

(اللّهم إن لك علي إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم)

وأخيرا لم يستطع الفرس مقاومة المسـلمين ففـروا منهزمين فأمر خالد مناديه فنادى في الناس (الأسر .الأسر . لا تقتلوا إلا من امتنع)

فأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين يساقون سـوقا وقد وكل بهم رجالا يضربون أعناقهم في النهـر، فجـرت الدماء في النهر فسمى لذلك (نهر الدم) وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلا من بني عجل إلى أبي بكر، يخبره بفـتح أليس وبقدر الفيء وبعدة السبي وبما حصل من الأخمـاس، وبأهل البلاد من الناس، وأمر أبو بكر لجندل بجارية من ذلك السبي .وبلغ قتلى العدو من أليس ٧٠٠٠٠ كما ذكر الطبري وكما جاء في شعر أبي مقرن الأسود بن قرطبة حيث قال:

قتلنا منهم سبعين ألفاً بقية حربهم نخب الأسار

موقعة أمغيشيا وهدمها

-لما فرغ خالد من أليس سار إلى أمغيشيا وكانـت مصرا كالحيرة فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم فغـنم جميع ما فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد وبلغ سـهم الفارس ١٥٠٠ سوى الذي نفله أهل البلاء .أرسل إلى أبـي بكر بالفتح ومبلغ الغنائم .فلما بلغ ذلك أبا بكر قال :(أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد (وفي رواية (عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد)

حصار الحيرة وتسليمها ربيع الأول سنة١٢ هـ - أيلول سبتمبر سنة ٦٣٣ م

-سار خالد من أمغيشيا إلى الحيرة، وحمل الرجال والرحال والأثقال في السفن فخرج مرزبان الحيرة (حاكمها الفارسي (ويدعى الأزاذبة وأرسل ابنه فقطـع المـاء عـن السفن، وذلك بسد الفرات فبقيت السفن على الأرض فسـار خالد في خيل نحو ابن الأزاذبة فلقيه على فم فرات بـادقلى فقتله وقتل أصحابه، غير أن المدينة كانت محصنة بأربعـة حصون فأبت التسليم فحصرهم وقاتلهم المسلمون فـاقتحموا الدور والويورة وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبان (يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم(، فنادى أهل القصور المسلمين . (قد قبلنا واحدة من ثلاث :إمـا الإسـلام، أو الجزيـة، أو المحاربة)

أما الأزاذبة فإنه هرب إذ بلغه موت أردشير .

وهذه أسماء قصور الحيرة التي تحصنوا فيها:

١- القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيضة الطـائي .

وكان ضرار بن الأزور محاصرا له.

٢- قصر الغريين وفيه عدي بن عدي .وكان ضرار بن الخطاب محاصرا له.

٣- قصر ابن مازن وفيه ابن أكال .وكان ضرار بن مقرن المزني محاصرا له.

٤- قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة .وكان المثنى محاصرا له.

خرج هؤلاء الرؤساء الأربعة من قصورهم فأرسلهم المسلمون إلى خالد فكان أول من طلب الصلح، عمرو بـن عبد المسيح، فصالحوه على ١٩٠,٠٠٠ وأهدوا إليه الهـدايا وبقوا على دينهم .وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى أبي بكر مع الهذيل الكاهلي فقبلها أبو بكر من الجزاء، وكتب إلى خالد : أن أحسب لهم هديتهم من الجزاء، وخذ بقية ما عليهم فـوق بها أصحابك.

محاورة بين خالد بن الوليد وعمرو بن عبد المسيح.

-لما مثل عمرو بن عبد المسيح أمام خالد قال لـه

خالد:

-كم أتى عليك؟

-مئون من السنين.

-فما أعجب ما رأيت؟

-رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفاً[٧١] فتبسم خال وقال:

-هل لك من شيخك إلا عمله .خرفت واللّه يا عمرو . ثم أقبل على أهل الحيرة وقال :ألم يبلغني أنكم خبثة خدعـة مكرة، فما لكم تتناولون حوائجكم بخرف[٧٢] لا يدري من أين جاء؟ فتجاهل له عمرو وأحب أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله، ويستدل به على صحة ما حدث به فقال :

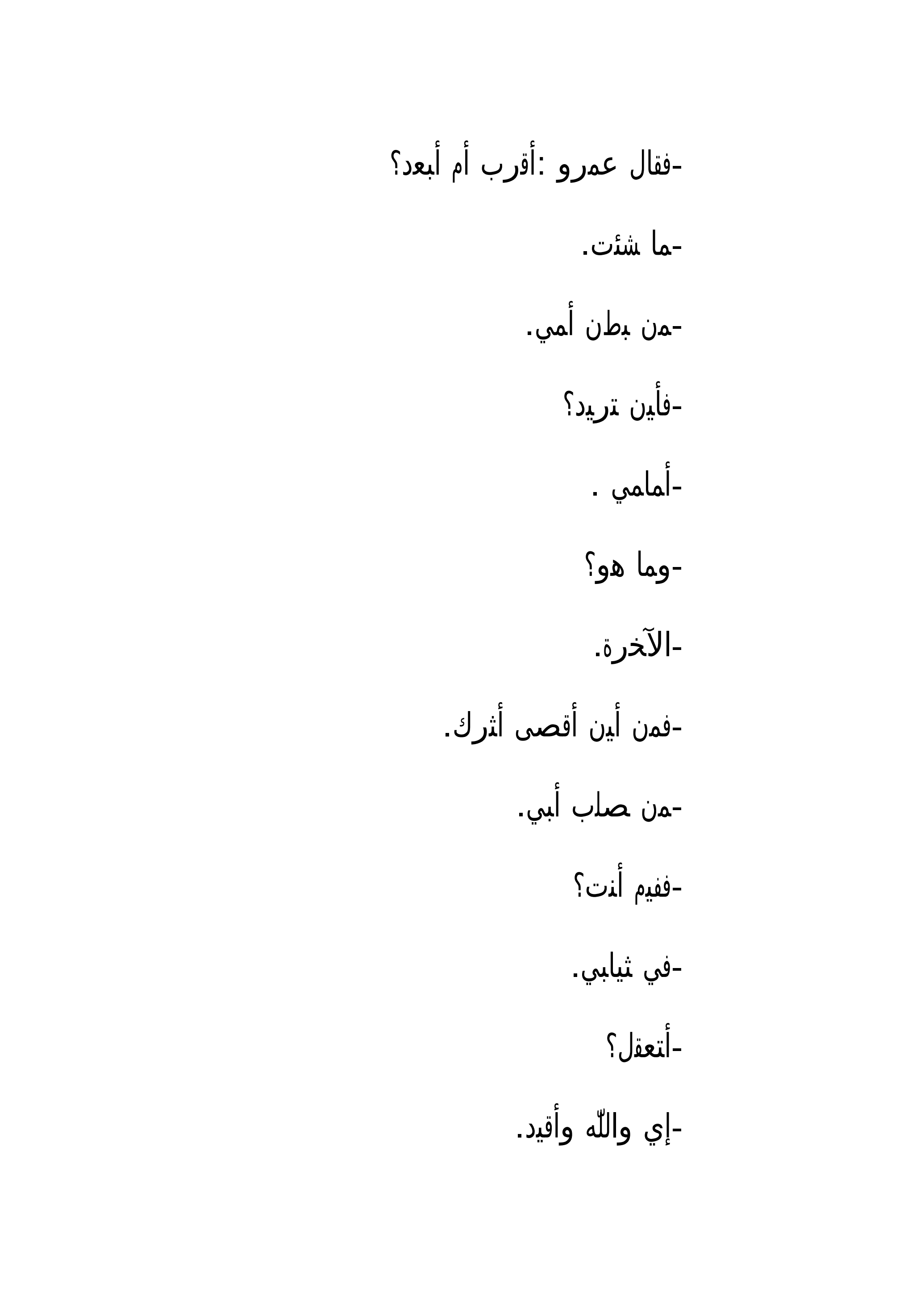
-وحقك أيها الأمير إني لأعرف من أين جئت.

-فقال :من أين جئت.

---

[٧١]أي لأنهخا لا تعدم ما تأكله في طريقها لقرب القرى من بعضها مع المسافة بين دمشق والحيرة ولكرم الأهلين.

[٧٢]برجل فاسد العقل لكبر سنه.



-فقال عمرو :أقرب أم أبعد؟

-ما شئت.

-من بطن أمي.

-فأين تريد؟

-أمامي .

-وما هو؟

-الآخرة.

-فمن أين أقصى أثرك.

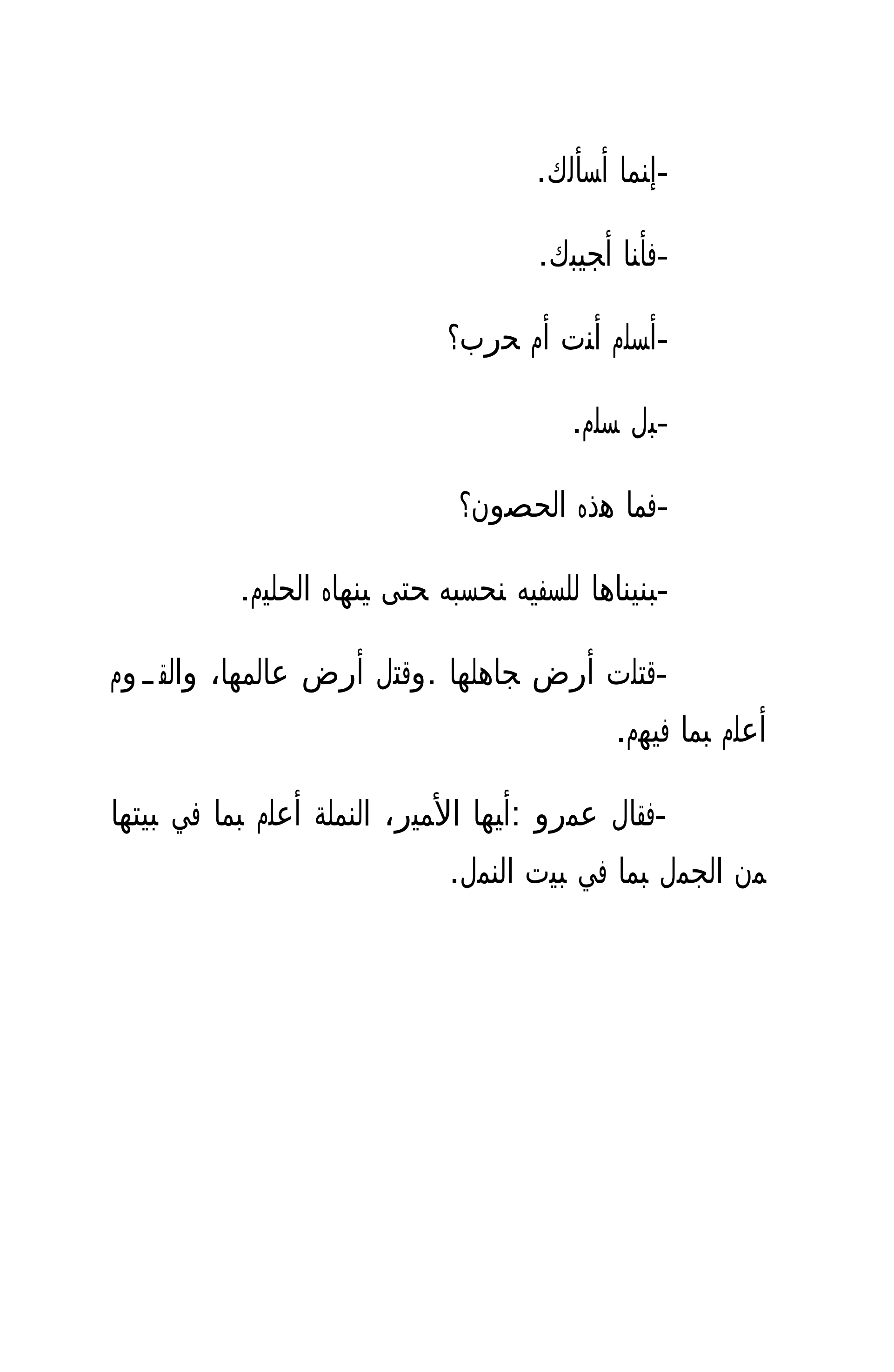
-من صلب أبي.

-ففيم أنت؟

-في ثيابي.

-أتعقل؟

-إي واللّه وأقيد.



-إنما أسألك.

-فأنا أجيبك.

-أسلم أنت أم حرب؟

-بل سلم.

-فما هذه الحصون؟

-بنيناها للسفيه نحسبه حتى ينهاه الحليم.

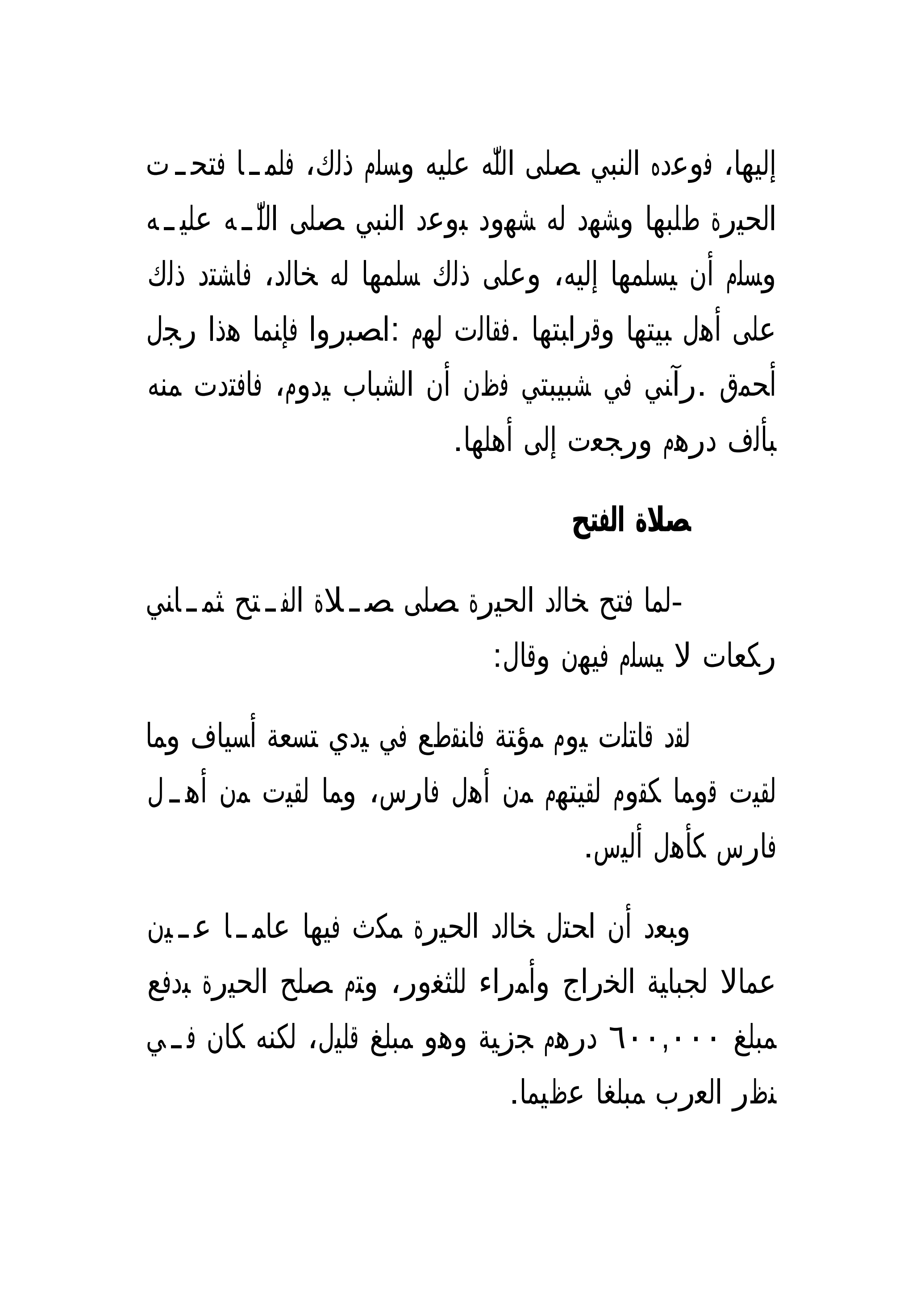
-قتلت أرض جاهلها .وقتل أرض عالمها، والقـوم أعلم بما فيهم.

-فقال عمرو :أيها الأمير، النملة أعلم بما في بيتها من الجمل بما في بيت النمل.

خالد يتناول السم الزعاف فلا يؤثر فيه

-ذكرنا كرامتين للعلاء بن الحضرمي .والآن نذكر كرامة لخالد بن الوليد،و لم يكن أحدهما ساحرا ولا كاهنا .بل كان كل منهما بطلا مقداما، فقد كان مع عمرو بـن عبـد المسيح بن بقيلة خادم معه كيس فيه سم، فأخذه خالد ونثـره في يده وقال :لم تستصحب هذا؟ قال :خشيت أن تكون على غير ما رأيت فكان أحب إلي من مكروه أدخله على قومي . فقال خالد :لن تموت نفسه حتى تأتي على أجلها .وقال (بسم اللّه خير الأسماء .رب الأرض ورب السماء الذي لا يضر مع اسمه داء .الرحمن الرحيم (فابتلع خالد السم .فقال عمرو : (و اللّه يا معشر العرب لتملكن ما أردتم .ما دام أحد مـنكم هكذا لم يكن لابتلاع السم أي تأثير في خالد، فلم يمرض، ولم يمت مع أن عمرو بن عبد المسيح كان قد أعده للانتحار.

وصالح خالد أهل الحيرة، ففرضت عليهم الجزية عدا رجال الدين واشتغل المسلمون بحماية المدينة من الهجـوم عليها .وكان لعبد المسيح الذي مر ذكره ابنة تدعى كرامـة فتمسك خالد بتسليمها إلى شويل؛ لأنه كان رآها شابة فمـال



إليها، فوعده النبي صلى اللّه عليه وسلم ذلك، فلمـا فتحـت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعد النبي صلى اللّـه عليـه وسلم أن يسلمها إليه، وعلى ذلك سلمها له خالد، فاشتد ذلك على أهل بيتها وقرابتها .فقالت لهم :اصبروا فإنما هذا رجل أحمق .رآني في شبيبتي فظن أن الشباب يدوم، فافتدت منه بألف درهم ورجعت إلى أهلها.

صلاة الفتح

-لما فتح خالد الحيرة صلى صـلاة الفـتح ثمـاني ركعات لا يسلم فيهن وقال:

لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف وما لقيت قوما كقوم لقيتهم من أهل فارس، وما لقيت من أهـل فارس كأهل أليس.

وبعد أن احتل خالد الحيرة مكث فيها عامـا عـين عمالا لجباية الخراج وأمراء للثغور، وتم صلح الحيرة بدفع مبلغ ٦٠٠,٠٠٠ درهم جزية وهو مبلغ قليل، لكنه كان فـي نظر العرب مبلغا عظيما.

الفرس وشرب الخمر.

-ذكر خالد في كتابه إلى الفرس غير مرة الخمـر . فمما جاء في أحد كتبه إليهم :(ألا فقد جئتكم بقـوم يحبـون الموت كما تحبون شرب الخمر) وهذا يدل على أن الخمور كانت منتشرة عندهم، وأنهم كانوا يقبلون على شربها حتـى عني خالد بذكرها.

متاعب الفرس الداخلية.

-وفي هذه الأثناء كانت الفرس تعاني كثيـرا مـن المتاعب الداخلية بعد ملكها أردشير، وذلك أن شـيري بـن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباذ، ولهـذا اقتصر همهم على حماية المدائن عاصمة ملكهم وما جاورها إلى نهر شير الذي هو فرع من نهر الفرات وكان المثنـى يهدد هذه الناحية لكنه توقف عن الزحف، لأن أبي بكر نهى عن التقدم إلا أن تحمى ظهور المسلمين.

فتح الانبار موقعة ذات العيون.

-أنبار هي فيروز سابور القديمة .مدينة شهيرة في

العراق من ولاية بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، وهي إلى غربيها على الفرات قرب مخرج نهر عيسى، وبابل في شماليها وتبعد عنها نحو ثمانين ميلا .قيل سميت بالأنبار لأنه كان يجمع فيها أنابير الحنطة والشعير والتبن وأنابير جمـع أنبار .سار خالد على تعبئته إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فحاصرها المسلمون وقد تحصن أهـل الأنبـار وخندقوا عليهم وأشرفوا من حصنهم وعلى جنودهم شيرزاد صاحب ساباط، وطاف خالد بالخندق وأنشب القتال وأوصى رماته أن يقصدوا عيون جيش العدو فرموا رشقا واحدا ثـم تابعوا فأصابوا ألف عين فسميت تلك الوقعة (ذات العيـون) وتصايح القوم (ذهبت عيون أهل الأنبار) فلمـا رأى ذلـك شيرزاد أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرضه خالد، فـرد رسله ونحره من إبل العسكر كل ضعيف وألقى الإبل فـي أضيق مكان في الخندق حتى ردمه بها وجاز هو وأصحابه فوقها، فاجتمع المسلمون والمشركون في الخنـدق فأرسـل شيرزاد إلى خالد يطلب منه الصلح على ما أراد فصـالحه على أن يلحقه بمأمنه من غير أن يأخذ شيئا مـن المتـاع . وخرج شيرزاد إلى بهمن جاذويه .ثم صالح خالد من حـول

الأنبار وأهل كلواذى.

فتح عين التمر[٧٣]

-لما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر وسار إلى عين التمر وهي قلعة على حدود الصحراء على مسيرة ثلاثة أيام غربا، وبها مهران بن بهرام جـ وبين في جمع عظيم من العجم وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب وتغلب وإياد وغيرهم، فلما سمعوا بخالد، قال عقة لمهران (إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدا) قـال : (صدقت فأنتم أعلم بقتال العرب وإنكم لمثلنا في قتال العجم) فخدعه واتقى به وقال (إن احتجتم إلينـا أعنـاكم) فلامـه أصحابه من الفرس على هذا القول فقال لهم (إنه قد جـاءكم من قتل ملوككم وفل حدكم فاتقيته بهم .فإن كانت لهم علـى خالد فهي لكم .وإن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم ضعفاء) فاعترفوا بفضل الـرأي . وسار عقة إلى خالد فعبأ خالد جنده، وبينما كان عقـة يقـيم صفوفه حمل عليه خالد بنفسه فاحتضنه وأخذه أسيرا كمـا

---

(٧٣)في معجم البلدان، عين التمر بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة يجلب منها التمر إلى سائر البلاد وهو بها كثير جداً وهي على طرف البرية وهي قديمة.

احتضن هرمز من قبل في موقعة ذات السلاسـل .فـانهزم الفرس من غير قتال وأكثر فيهم المسلمون الأسـر فسـألوه الأمان فأبى فنزل فنزلوا على حكمه، فأخذهم أسرى وقتـل عقة ثم قتلهم أجمعين وسبى كل من في الحصن وغنم ما فيه . ووجد في بيعتهم[٧٤] أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيـل علـة مذهب نسطور[٧٥] وكان عليهم باب مغلـق فكسـره عـنهم وقسمهم بين القواد .وكان منهم أبو زياد مولى ثقيف ونصير أبو موسى بن نصير، وأرسل الوليد بن عقبة إلى أبي بكـر بالخبر والأخماس.

---

(٧٤)البيعة :كنيسة للنصارى.

(٧٥)راجع مذهب نسطور في كتاب" محمد رسول الله "للمؤلف عند ذكر إسلام النجاشي صفحة ٣٤٣ و.٣٤٤

موقعة دومة الجندل شهر رجب سـنة١٢ هـ ـ - أيلول سبتمبر سنة ٦٣٣ م

-دومة الجندل مدينة بينها وبين دمشق خمس ليـال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة، وهي أقرب بلاد الشام إلى المدينة وبقرب تبوك .وكان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خرج لغزوها في ربيع الأول سنة خمس (يولية سـنة ٦٢٢م) وكانت أول غزوات الشام[٧٦]

وكان أبو بكر قد أرسل جيشين إلى الشمال وأمـر على أحدهما خالداً ووجهته نحو الأبلة ثـم الزحـف علـى الحيرة، وأمر على الثاني عياضا ووجهته دومة عوقه العدو مدة طويلة ولم يستطع أن ينضم إلى خالد، فلما أرسل خالـد بن عقبة إلى أبي بكر بخبر فتح عين التمر اهتم أبـو بكـر فأرسل الوليد لمساعدة عياض .وكان خالد لما فرغ من عين التمر أتاه كتاب عياض يستمده فسار خالد إليه تاركا القعقاع على الحيرة، وكان بدومة رئيسان أكيدر بن عبد الملـك[٧٧]

---

[٧٦]راجع كتاب" محمد رسول اللّه "للمؤلف صفحة.٢٦٥

[٧٧]راجع بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر في كتاب" محمد رسول اللّه "للمؤلف صفحة ٤٢٨ - ٤٢٩.

والجودي بم ربيعة يساعدهما بنو كلاب وقبائل أخـرى مـن صحراء الشام.

ولما سمع أكيدر بقدوم خالد تخوف وبادر بالتسليم، إلا أن خالدا أسره وضرب عنقه ثم أخذ ما كان معه .ثم هاجم عياض القبائل المعادية من جهة الشام وخالد من جهة فارس فانهزم العدو شر هزيمة، وأخذ الجودي أسيرا فقتله وقتـل الأسرى، وأخذ حصونهم، وسبى الذرية والسـرح فبـاعهم واشترى خالد ابنة الجـودي وكانـت موصـوفة بالجمـال وتزوجها في ميدان القتال ثم رجع إلى الحيرة، وكان يريـد محاربة أهل المدائن فمنعه من ذلك كراهية مخالفة أبي بكر.

البعوث إلى العراق شهر شعبان سـنة١٢ هــ - تشرين الأول أكتوبر سنة٦٣٣ م

-لقد شجع غياب خالد الفرس ومـن والاهـم مـن العرب، ولا سيما بني تغلب على مناوشة المسلمين وطمـع الأعاجم، وكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة الذي قتله خالد بعين التمر، إلا أن القعقاع استطاع الدفاع عن الأنبار، ولما قدم خالد خرج وعلى مقدمته الأقرع بن حابس واسـتخلف على الحيرة عياض بن غنم، وهاجم الفرس على الشـاطئ الشرقي للفرات فهزمهم وقتل قوادهم، وهاجم البـدو علـى الشاطئ الغربي ليلا وهم نيام فقتلهم وسبى الذرية وأرسـل الغنائم إلى المدينة.

موقعة الفراض شهر ذي القعدة سنة١٢ هـ - كانون الثاني يناير سنة٦٣٤ م.

-ثم قصد خالد إلى الفراض تخوم الشام والعـراق والجزيرة فأفطر بها رمضان في تلك السفرة التي اتصـلت فيها الغزوات، فلما اجتمع المسلمون بالفراض حميت الروم واغتاظت، واستعانوا بمن يليها من مسـالح أهـل فـارس،

واستمدوا تغلب وإيادا والنمر، فأمدوهم وناهضوا خالدا حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا) إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم (قال خالد): بل اعبروا إلينا قالوا فتنحوا حتـى نعبـر (فقال خالد) لا نفعل ولكن اعبروا أسفل منا (فقالت الـروم وفارس بعضهم لبعض احتسبوا ملككم .هذا رجل يقاتل على دين .وله عقل وعلم واللّه لينصرن ولنخذلن .ثم لن ينتفعـوا بذلك .فعبروا أسفل من خالد .فلما تتاموا قالت الروم :امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أينا يجـيء ففعلوا واقتتلوا قتالا شديدا طويلا .ثم إن اللّـه عـز وجـل هزمهم، وقتل يوم الفراض فـي المعركـة وفـي الطلـب ١٠٠,٠٠٠كما رواه الطبري، وأقام خالد على الفراض بعد الوقعة عشرا، ثم أذن بالجوع إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة .

قال مستر موير في كتابه (الخلافة) عند ذكر هـذه الموقعة صفحة ٦١ طبعـة سـنة ١٩٤٢ إن هـذا العـدد (١٠٠,٠٠٠) خرافي ويريد بذلك أنه عدد عظيم غير معقول إلا أن المؤرخين لم يذكروا عدد جيش خالد ولا عدد جـيش العدو، والذي نعلمه أن جيش العدو كان عظيما، لأنه كـان

جيش متحد مؤلف من ثلاثة جيوش :جيش الفرس والـروم والعرب الذين انضموا إليهم، فإذا كانـت الموقعـة انتهـت بانهزام هذه الجيوش انهزاما تاما فلا بد أن يكون عدد القتلى كبيرا، فإن لم يكن مئة ألف بالضبط كما رواه الطبري فهـو يقرب من ذلك.

قال القعقاع يصف موقعة الفراض:

لقينا بالفراض جموع روم وفرس غمها طول السلام

بدنا جمعهم لما التقينا وبيتنا بجمع بني رزام

فما فتئت جنود السلم حتى رأينا القوم كالغنم السوام

خالد يحج سراً شهر ذي الحجة سنة١٢ هـ - شباط فبراير سنة٦٣٤ م.

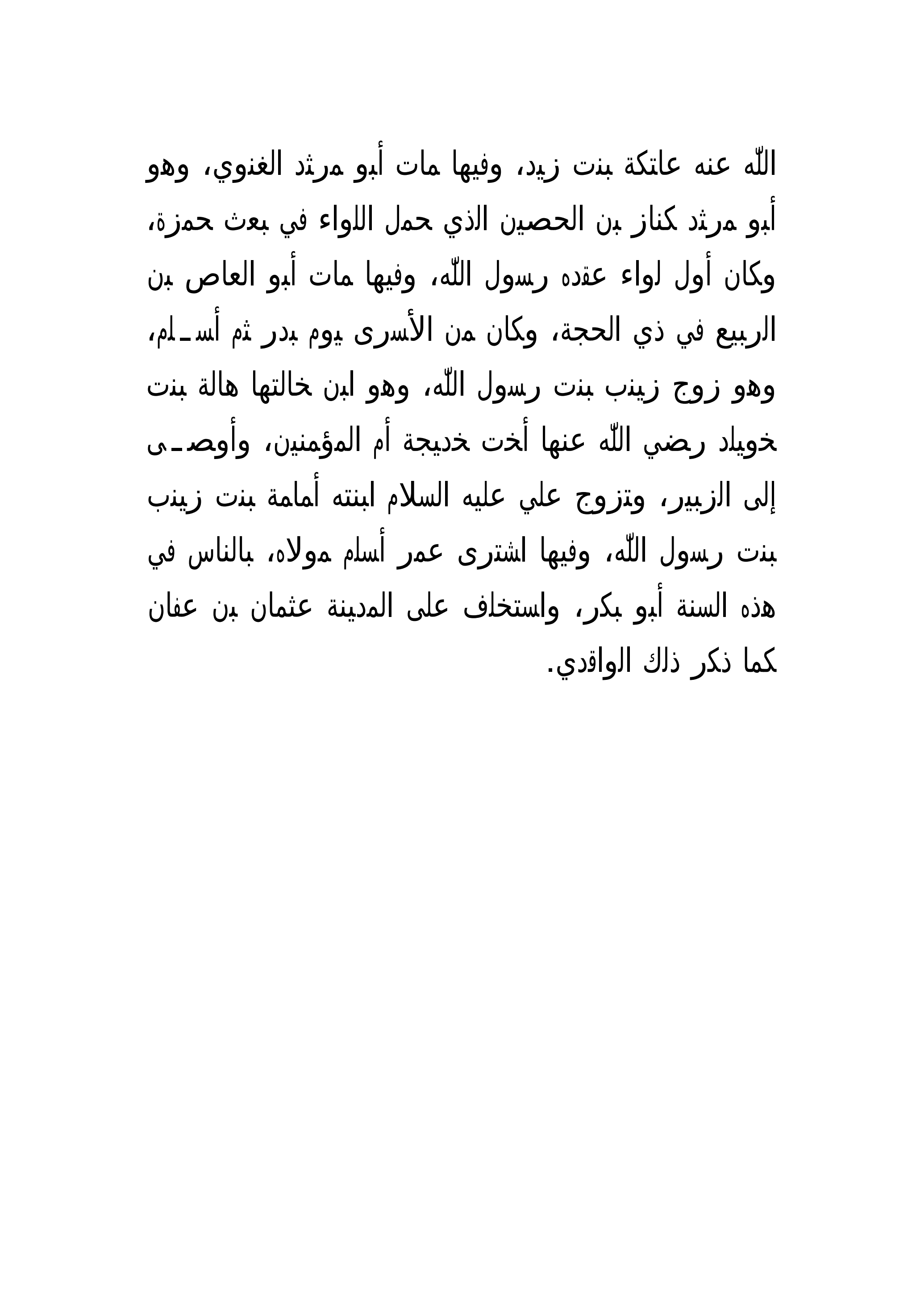
-لما أيقن خالد من انهزام العدو اشتاق إلى زيـارة مكة وإلى تأدية فريضة الحج متخفيا من غير أن يستأذن أبا بكر فأمر جيشه بالعودة إلى الحيرة وتظاهر بأنه سائر فـي مؤخرة الجيش، فبدأ رحلته إلى مكة ومعه عدة من أصحابه لخمس بقين من ذي القعدة ولم يكن معـه دليـل، فـاخترق

الصحراء مسرعا رغما عن صعوبة الطريق.

ولما أدى فريضة الحج عاد إلى الحيرة في أوائـل فصل الربيع فكانت غيبته على الجند يسيرة، فما وصلت إلى الحيرة مؤخرة الجيش حتى وافاهم خالد مع صاحب السـاقة فقدما معا، وخالد وأصحابه محلقون، وقد كان تكتمه شـديدا حتى إنهم ظنوا أنه كان في هذه المدة بالفراض ولم يعلم أبو بكر بحج خالد مع أنه كان في الحج أيضا، غير أنه بعد قليل بلغه الخبر فاستاء جدا وعتب عليه، وكانت عقوبته أن صرفه إلى الشام ليمد جموع المسلمين باليرموك فأرسل إليه كتابـا هذا نصه:

"سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا وأشجوا وإياك أن تعود لمثل ما فعلت، فإنه لم يشـج الجموع من الناس بعون اللّه شجاك، ولم ينزع الشجى مـن الناس نزعك، فليهنئك أبا سليمان النية والخطوة، فأتمم يتمم اللّه عليك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل فإن اللّه له المن وهو ولي الجزاء."

وفي هذه السنة (سنة ١٢ هـ) تزوج عمر رضـي



اللّه عنه عاتكة بنت زيد، وفيها مات أبو مرثد الغنوي، وهو أبو مرثد كناز بن الحصين الذي حمل اللواء في بعث حمزة، وكان أول لواء عقده رسول اللّه، وفيها مات أبو العاص بن الربيع في ذي الحجة، وكان من الأسرى يوم بدر ثم أسـلم، وهو زوج زينب بنت رسول اللّه، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضي اللّه عنها أخت خديجة أم المؤمنين، وأوصـى إلى الزبير، وتزوج علي عليه السلام ابنته أمامة بنت زينب بنت رسول اللّه، وفيها اشترى عمر أسلم مولاه، بالناس في هذه السنة أبو بكر، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان كما ذكر ذلك الواقدي.

غزو الشام سنة١٣ - ١٢ هـ٦٣٤ - ٦٣٣ - م

-بعد أن عاد أبو بكر من الحج وجه الجنـود إلـى الشام تحت قيادة خالد بن سعيد بن العاص .وكان أول لواء عقده إلى الشام .وهو من الذين أسلموا قديما وهـاجر إلـى الحبشة، إلا أن أبا بكر عزله قبل أن يسير، وكان سبب عزله أنه تأخر عن بيعة أبي بكر شهرين ولقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان فقال يا أبا الحسن (يا بني عبـد منـاف، أغلبتم عليها؟) فقال علي :(أمغالبة ترى أم خلافة؟)

فأما أبو بكر فلم يحقدها عليه، وأما عمر فاضطغنها عليه، فلما ولاه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزلـه عـن الإمارة وجعله رداء للمسلمين بتيماء (جنوب شرقي تبـوك) وأمره أن لا يفارقها إلا بأمره وأن يدعو من حوله من العرب إلا من ارتد وأن لا يقاتل من قاتله، فاجتمع إليه جموع كثيرة من الروم، وعلى ذلك أمره أبو بكر بالإقدام بحيث لا يؤتى من خلفه، فتقدم شمالا نحو البحر الميت فسار إليه بطريـق الروم ويدعى (باهان) ولما وجد أنه تقدم كثيرا كتب إلى أبي بكر يستمده .وكان قد قدم إلى أبي بكـر بالمدينـة جيـوش

المسلمين من اليمن بعد أن هزموا المرتدين، وكانوا علـى استعداد للحرب في جهات أخرى، فأرسل أبو بكر عكرمة بن أبي جهل والوليد بن عقبة لإمداد خالد في الشمال.

أسرع خالد بن سعيد في أوائل فصل الربيع للغـزو ناسيا ما أمره به أبو بكر من عدم الزحف، فوقع في شـرك باهان جهة دمشق، وكان قد وصل إلى مرج الصفر، شرقي بحيرة طبرية فأطبق عليه العدو من الخلـف ومنعـه مـن التقهقر، وقتل ابنه سعيد في المعركة وفر خالد بفلول جيشه إلى المدينة وبقي عكرمة رداء للجيش بدل خالد، فرد عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه وأقام من الشام على قرب.

ثم أمر أبو بكر يزيد بن أبي سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه، فيهم سهيل بن عمرو في أمثاله من أهل مكة وشيعه ماشيا وأوصاه وغيره من الأمراء.

وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

-كان مما قاله أبو بكر ليزيد:

(إني وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فإن أحسـنت

رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولـى الناس بالله أشدهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد فإياك وعبية الجاهلية فـإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسـن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسـجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلـل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خيلك ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشـف عنك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثـر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم

بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنهما أيسرهما لقربهما من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيها ولا تسرع إليها ولا تخذلها مدفعا ولا تغفل عـن أهـل عسكرك فتفسدهم، ولا تتجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم .ولا تجالس العبـاثين وجالس أهل الصدق والوفاء، وأصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس .واجتنب الغلول (الخيانة في المغنم) فإنه يقر بـالفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له[٧٨]

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعا لولاة الأمر، فإنه يذكر فيها واجبات القائد نحو جنده، ونحو عدوه، ومنع تعرض القائد للمتدينين الذين حبسوا أنفسهم فـي الصـوامع احتراما لدينهم .

وقد انقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام كل قسم مؤلف من ٥٠٠٠مقاتل، وأمر على اثنين منهما شرحبيل بـن حسـنة الذي كان قد قدم من عند خالد بن الوليد إلى أبي بكر، وعلى

---

[٧٨]راجع (الكامل) لابن الأثير الجزء الثاني عند ذكر فتوح الشام.

الثالث عمرو بن العاص، وعين لكل جيش وجهته في الشام فوجه عمرا إلى أيلة على رأس خليج العقبة[٧٩] ومن ثم لغزو جنوب الشام أو فلسطين، ووجه يزيد وشرحبيل إلى تبوك، ثم غزوا أوساط الشام .وحمل معاوية بن أبي سفيان لواء أخيه يزيد وانضم خالد بن سعيد متطوعا إلى جيش شرحبيل وكان تعيين الأمراء الثلاثة في شهر صفر سنة١٣ هـ - نيسـان إبريل سنة ٦٣٤ م ثم لما وصلت الجيوش الأخـرى إلـى المدينة أرسلهم أبو بكر لإمداد جيوش الشام، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح .وعلى ذلك كان عدد الجيوش التي أرسلت أربعة، وكان أبو عبيدة أميرا عليهم جميعا، وبلغ عدد الجيش الزاحف ٢٤٠٠٠ بما في ذلك جيش عكرمة .وخرج نحـو ألف من الصحابة في جيش الشام، ومن بيـنهم ١٠٠ ممـن شهدوا موقعة بدر بخلاف جيش العراق فإن المهاجرين لـم يقاتلوا فيه.

سار أبو عبيدة على باب من البلقاء[٨٠] فقاتله أهله ثم

---

[٧٩] أيلة :مدينة لليهود حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوه فمسخوا قردة وخنازير.

[٨٠] البلقاء :منطقة في شرقي نهر الأردن قاعدتها السلط وبجودة حنطتها يضرب المثل.

صالحوه فكان أول صلح في الشام.

الظروف الملائمة لفتح الشام

-كان امبراطور الروم يبعث إلى القبائل العربية في جنوبي فلسطين إعانة مالية سنوية، غير أنه اضطر بسبب ما أنفقه على الجيش في محاربة الفرس إلى قطع الإعانة عنهم مراعيا في ذلك الاقتصاد في النفقات وعلى ذلك اعتبرت هذه القبائل أنفسها أحرارا غير مقيدين بمحالفتهم الروم فانضموا إلى المسلمين .ثم إن أهل الشـام أيضـا أرهقـتهم زيـادة الضرائب فضلا عما كانوا يلاقونه من الاضطهادات الدينية، ولذلك لم يحركوا ساكنا، وقد كانوا يفضلون حكـم العـرب لحسن معاملتهم وعدلهم في أحكامهم، كل هذه كانت ظروفا ملائمة للمسلمين المهاجمين.

استعداد هرقل.

-وصل أمراء المسلمين إلى الشام فأخذ عمرو طريق المعرقة ونزل بالعربة وهي واد بين البحر الميـت وخلـيج العقبة، ونزل أبو عبيدة الجابية، ونزل يزيد البلقاء، ونـزل شرحبيل الأردن وقيل بصرى .فبلغ الروم ذلك فكتبوا إلـى

عرقل، وكان في القدس فقال :(أرى أن تصالحوا المسـلمين فواللّه لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقوا لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبـوكم علـى الشام ونصف بلاد الروم) فتفرقوا عنه وعصـوه فجمعهـم وسار بهم إلى حمص فنزلها وأعد الجنود والعساكر، وأراد إشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة مـن جنـوده لكثـرة عسكره لتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها، فأرسل إلى عمرو أخاه تذارق لأبيه وأمه فخرج نحوهم في ٩٠,٠٠٠ وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة ثنية جلق بأعلى فلسطين .وبعث جرجة بن توذار نحو يزيد بن أبي سـفيان فعسكر بإزائه .وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة . وبعث الفبقار بن نسطوس في ٦٠,٠٠٠ نحو أبـي عبيـدة فهابهم المسلمون، وكاتبوا عمرا أن ما الرأي؟ فأجـابهم :أن الرأي لمثلنا الاجتماع، فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا يغاب من قلة، فإن تفرقنا لا تقوم كل فرقة بمن استقبلها لكثرة عدونا .وكتبوا إلى أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو .وقال (إن مثلكم لا يؤتى من قلة إنما يؤتى العشرة آلاف إذا أتـوا مـن تلقـاء الذنوب فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين،

وليصل كل رجل منكم بأصحابه)

وكان جميع فرق المسلمين ٢١,٠٠٠ سوى عكرمة في٦٠٠٠ ، وبلغ ذلك هرقل فكتب إلى بطارقته أن اجتمعوا لهم .واجتمع المسلمون باليرموك كما أمـرهم أبـو بكـر، واجتمع الروم هناك أيضا وعليهم التذارق وعلـى المقدمـة جرجة وعلى مجنبتيه الدراقص وباهان، ولم يكن قد وصـل بعد إليهم، وعلى الحرب الفيقار، فنزلوا الواقوصة وهي على ضفة اليرموك وصار الوادي خندقا لهم .وإنما أراد باهـان وأصحابه أن تستفيق الروم ويأنسـوا بالمسـلمين، وانتقـل المسلمون عن عسكرهم الذي اجتمعوا بـه فنزلـوا علـيهم بحذائهم على طريقهم، وليس للروم طريق إلا عليهم .فقـال عمرو(أيها الناس أبشروا حصرت واللّه الروم، وقل ما جاء محصور بخير) وأقاموا صفرا وشهري ربيع لا يقدرون منهم على شيء من الوادي والخندق، ولا يخرج عليهم الروم إلا ردهم المسلمون .وكان قتال المسلمين لهم على تساند أميـر على أصحابه لا يجمعهم أحد حتى قدم خالد بن الوليد مـن العراق؛ وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم.

مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام وموقعة اليرموك

-كان اهتمام أبي بكر الصديق بغزو الشام أشد من اهتمامه بالعراق .لذلك عول على استدعاء خالد بن الوليـد وأمره بالمسير وأن يأخذ نصف النـاس ويسـتخلف علـى النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيباني، ووعده بأنـه إذا انتصر في الشام أعاده إلى العراق .ثم بدأ خالد يختار جيشه فاستأثر خالد بأصحاب النبي صلى اللّه عليه وسـلم علـى المثنى، وترك للمثنى عددهم من أهل القناعة ممن ليس لـه صحبة .ثم قسم الجند نصفين، فقال المثنى (واللّه لا أقيم على إنفاذ أمر أبي بكر، وباللّه ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم) خرج معه ٩٠٠٠ وصاحبه المثنى إلى حدود الصحراء ليودعه.

سار خالد بجيشه فلما وصل إلى قراقر وهـو مـاء لكاب أغار على أهلها وأراد أن يسير عنهم مفوزا إلى سوى وهو ماء لبهراء .ثم أتى أراك فصالحوه .ثم أتى تدمر ففتحها صلحا، ذلك أنه لما مر بها في طريقه تحصن أهلهـا منـه

فأحاط بهم من كل وجه فلم يقدر عليهم .ولما أعجزه ذلـك وأعجله الرحيل قال :(يا أهل تدمر والله لو كنتم في السحاب لا ستنزلناكم ولأظهرنا الله عليكم، ولئن أنتم لـم تصـالحوا لأرجعن إليكم إذا انصرفت من وجهي هذا ثم لأدخلن مدينتكم حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم)

فلما ارتحل عنهم بعثوا إليه وصالحوه على ما أدوه له ورضي به .ثم أتى خالد القريتين فقاتلهم فظفر بهم، وغنم وأتى حوارين .فقاتل أهلها وهزمهم وقتل وسبى وأتى قصم -وهي موضع بالبادية قرب الشام من نـواحي العـراق - فصالحه مشجعة من قضاعة وسار فوصل ثنية العقـاب - وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصـد مـن دمشق إلى حمص - ناشرا رايته العقاب وهي راية سوداء . ثم سار فأتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم فقاتل وأرسل سرية إلى كنيسة بالغوطة فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال إلى خالد ثن سار حتى وصل بصـرى فقاتل من بها فظفر بهم وصالحهم، فكانت بصرى أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق وبعث بالأخماس إلى أبي بكر، ثم سار فطلع على المسلمين فـي ربيـع الآخـر

باليرموك، فوجدهم يقاتلون الروم متساندين كل أمير علـى جيش، وشرحبيل بن حسنة على جيش وعمرو بن العـاص على جيش .فقال خالد:

(إن هذا اليوم من أيام اللّه، لا ينبغي فيه الفخر، ولا البغي فأخلصوا للّه جهادكم، وتوجهوا للّه تعالى بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده؛ وإن من وراءكم لو يعلم عملكـم حـال بينكم وبين هذا .فاعلموا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه هو الرأي من واليكم)

قالوا فما الرأي؟ قال إن الذي أنتم عليه أشد علـى المسلمين مما غشيهم .وأنفع للمشركين من أمـدادهم .ولقـد علمت أن الدنيا فرقت بينكم .واللّه فهلموا فلنتعاور الإمارة . فليكن علينا بعضنا اليوم؛ وبعضنا غدا، والآخر بعد غد حتى يتامر كلكم؛ ودعوني اليوم عليكم .قالوا :نعم .فأمروه فكـان الفتح على يد خالد .وجاء البريد يومئذ بموت أبـي بكـر؛ وخلافة عمر، وتأمير أبي عبيدة على الشام كلـه؛ وعـزل خالد.فأخذ الكتاب منه وتركه في كنانته، ووكل به من يمنعه أن يخبر الناس بالأمر لئلا يضعفوا إلى أن هزم اللّه العدو؛ وقتل منهم نحو١٠٠,٠٠٠ ؛ ثم دخل على أبي عبيدة وسـلم

عليه بالإمارة.

التحام الجيشين وانتصار المسلمين

-كان عدد المسلمين كما يأتي:

٢١,٠٠٠عدد جيش الأمراء الأربعة.

٦,٠٠٠جيش عكرمة بن أبي جهل.

٩,٠٠٠جيش خالد بن الوليد.

٣,٠٠٠فلول جيش خالد بن سعيد.

٣٩,٠٠٠مجموع جيش المسلمين وقيل.٤٠,٠٠٠

جيش الروم:

٨٠,٠٠٠مقيد.

٤٠,٠٠٠مسلسل للموت.

٤٠,٠٠٠مربوطين بالعمائم لئلا يفروا.

٨٠,٠٠٠راجل.

٢٤٠,٠٠٠

ولم يعرف عدد الفرسان في الجيشين.

عبأ خالد جيشه وقسمه إلى أربعين كردوسا وجعـل على كل كردوس رجلا من الشجعان وجعله على ثلاث فرق، قلب وميمنة وميسرة :

- ١ -أبو عبيدة على كراديس القلب.

- ٢ -عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة علـى كراديس الميمنة.

- ٣ -يزيد بن أبي سفيان على كراديس الميسرة.

وجعل على الطلائع قباث بن أشيم، وعلى الأقبـاض عبد اللّه ببن مسعود .وكان أبو سفيان يسير فيقـف علـى الكراديس فيقول:

(اللّه .اللّه .إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام .وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك اللّهم إن هذا يوم من أيامك .اللّهم أنزل نصرك على عبادك)

وقال رجل لخالد :(ما أكثر الروم وأقل المسلمين)

فقال خالد :(ما أقل الروم وأكثر المسلمين .إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال .واللّه لوددت أن الأشقر"فرسه "براء من توجيه وأنهم أضعفوا في العـدد) وكان فرسه قد حفى في مسيره .ثم أمر خالد عكرمة والقعقاع وكانا على مجنبتي القلب فأنشبا القتال وارتجز القعقاع وقال:

يا ليتني ألقاك في الطراد قبل اعترام الجحفل الوراد

وأنت في حلبتك الوراد

وقال عكرمة:

قد علمت بهكنة الجواري أني على مكرمة أحامي

فنشب القتال، والتحم الناس، وتطارد الفرسان، ثم أتى البريد كما ذكرنا.

إسلام جرجة

-ثم خرج (جرجة) حتى كان بين الصفين، ونـادى ليخرج إلي خالد فخرج إليه خالد، وأقام أبا عبيـدة مكانـه

فواقفه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما، وقد أمـن أحدهما صاحبه، فقال جرجة:

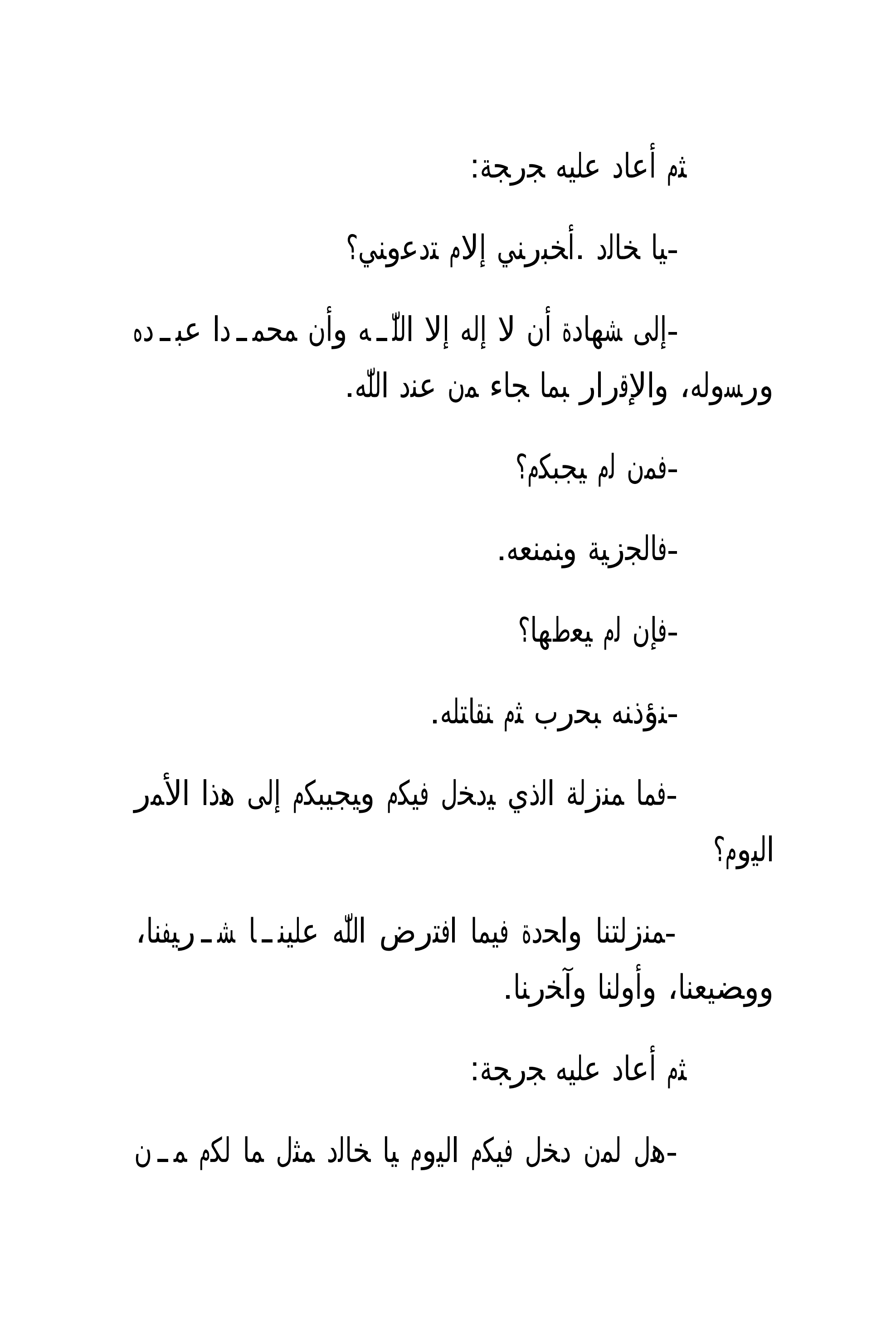
(يا خالد أصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكـذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع، أنشدك بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه، فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟)

قال :(لا)

قال :فبم سميت سيف الله؟

قال :إن الله عز وجل بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فدعانا فنفرنا عنه، ونأينا عنه جميعا، ثـم إن بعضـنا صدقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن باعده وكذبه وقاتله، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا وفهدانا به فتبعنـاه، فقال :أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشـركين، ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك، فأنـا مـن أشـد المسلمين على المشركين.

-صدقتني.



ثم أعاد عليه جرجة:

-يا خالد .أخبرني إلام تدعوني؟

-إلى شهادة أن لا إله إلا اللّـه وأن محمـدا عبـده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند اللّه.

-فمن لم يجبكم؟

-فالجزية ونمنعه.

-فإن لم يعطها؟

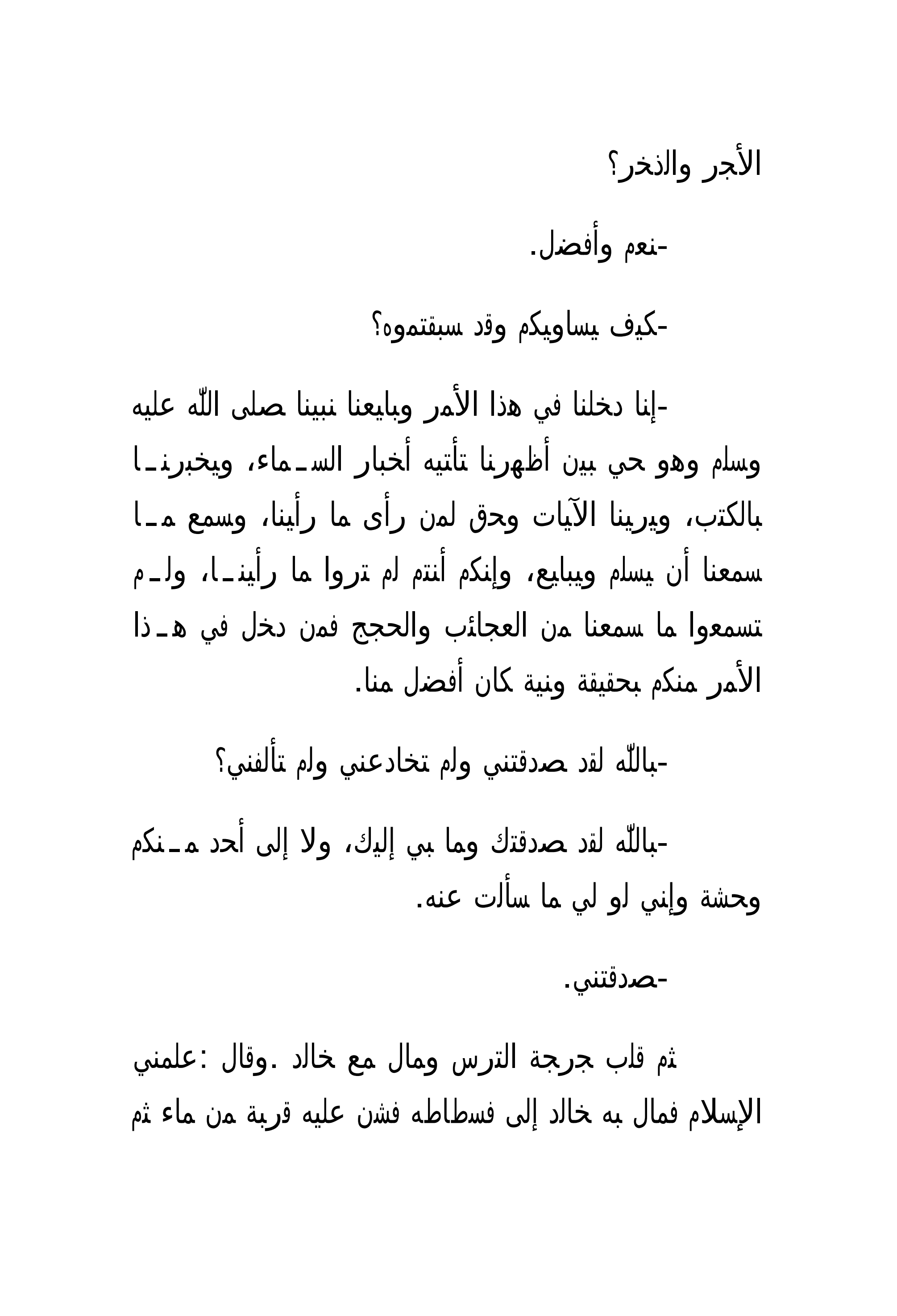
-نؤذنه بحرب ثم نقاتله.

-فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟

-منزلتنا واحدة فيما افترض اللّه علينـا شـريفنا، ووضيعنا، وأولنا وآخرنا.

ثم أعاد عليه جرجة:

-هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم مـن



الأجر والذخر؟

-نعم وأفضل.

-كيف يساويكم وقد سبقتموه؟

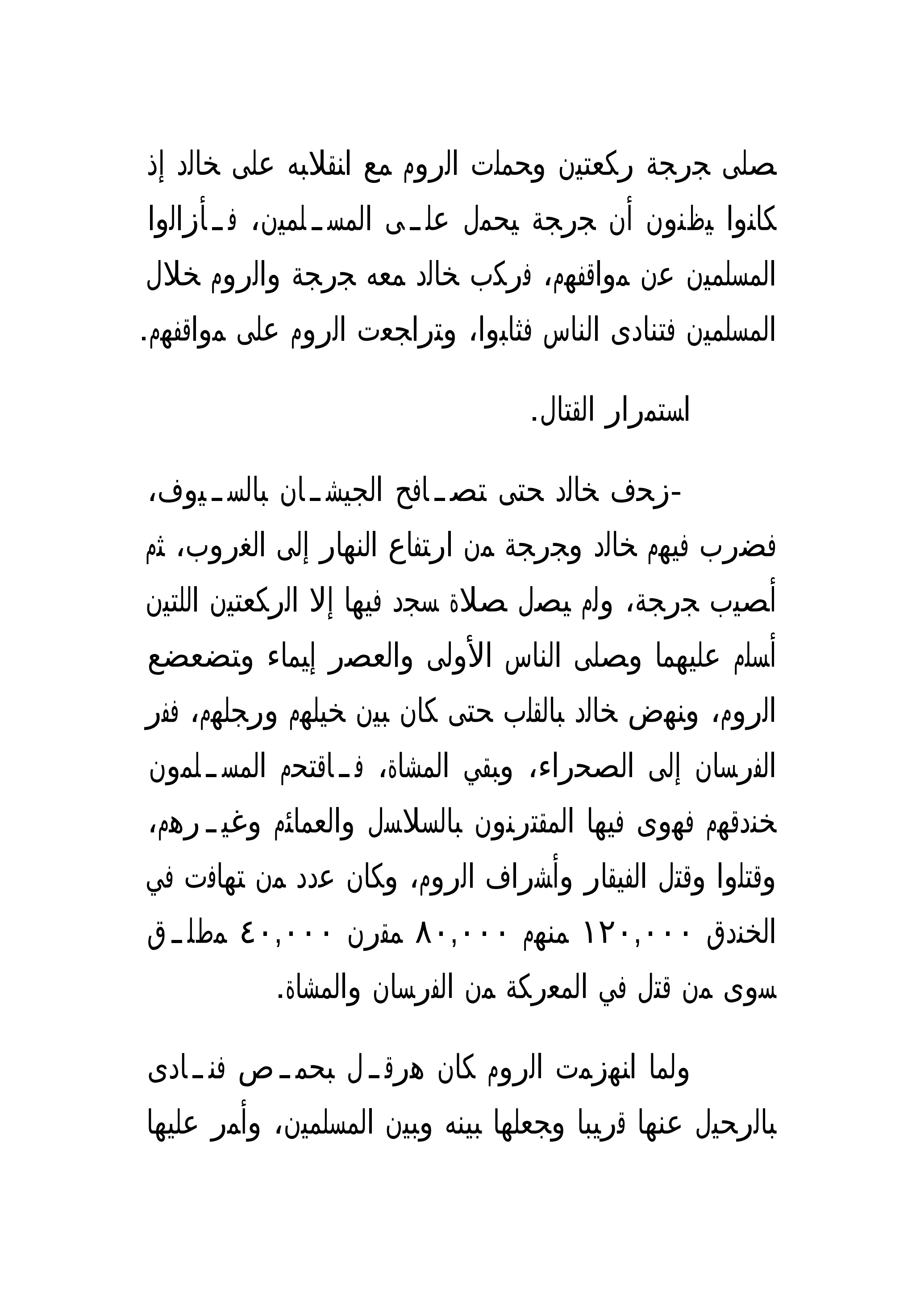
-إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى اللّه عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السـماء، ويخبرنـا بالكتب، ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع مـا سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينـا، ولـم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في هـذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.

-باللّه لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني؟

-باللّه لقد صدقتك وما بي إليك، ولا إلى أحد مـنكم وحشة وإني لو لي ما سألت عنه.

-صدقتني.

ثم قلب جرجة الترس ومال مع خالد .وقال :علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم



صلى جرجة ركعتين وحملت الروم مع انقلابه على خالد إذ كانوا يظنون أن جرجة يحمل علـى المسـلمين، فـأزالوا المسلمين عن مواقفهم، فركب خالد معه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس فثابوا، وتراجعت الروم على مواقفهم.

استمرار القتال.

-زحف خالد حتى تصـافح الجيشـان بالسـيوف، فضرب فيهم خالد وجرجة من ارتفاع النهار إلى الغروب، ثم أصيب جرجة، ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما وصلى الناس الأولى والعصر إيماء وتضعضع الروم، ونهض خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم، ففر الفرسان إلى الصحراء، وبقي المشاة، فـاقتحم المسـلمون خندقهم فهوى فيها المقترنون بالسلاسل والعمائم وغيـرهم، وقتلوا وقتل الفيقار وأشراف الروم، وكان عدد من تهافت في الخندق ١٢٠,٠٠٠ منهم ٨٠,٠٠٠ مقرن ٤٠,٠٠٠ مطلـق سوى من قتل في المعركة من الفرسان والمشاة.

ولما انهزمت الروم كان هرقـل بحمـص فنـادى بالرحيل عنها قريبا وجعلها بينه وبين المسلمين، وأمر عليها

أميرا كما أمر على دمشق.

قتلى المسلمين.

-أصيب من المسلمين ٣٠٠٠ منهم:

عكرمة وابنه عمرو .سلمة بن هشام .وعمرو بـن سعيد .أبان بن سعيد وأثبت خالد بن سعيد فلا يدري أين مات بعد .جندب بن عمرو .الطفيل بن عمرو .طليب بن عمير . هشام بن العاص .عياش بن أبي ربيعة .سعيد بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي .نعيم بن عبد اللّه النحـام العـدوي . النصير بن الحارث بن علقمة .أبو الروم بن عمير بن هاشم العبدري .وأصيبت عين أبي سفيان بن حرب في الموقعـة فأخرج السهم من عينه أبو حثمة .وقد قاتل النساء ومـنهن جويرية بنت أبي سفيان.

وقال خالد يومئذ:

(الحمد للّه الذي قضى على أبي بكر بالموت وكـان أحب إلي من عمر والحمد للّه الذي ولى عمر وكان أبغض إلي من أبي بكر ثم ألزمني حبه)

وكان عمر ساخطا على خالد في خلافة أبي بكر كلها لوقعته بابن نويرة وما كان يعمل في حربه، ولذا كـان أول عمله عزل خالد .وقال لا يلي لي عملا أبدا .ثـم إن عمـر رضي اللّه عنه لما رأى انتصارات خالد البـاهرة وانقيـاد المسلمين له في جميع الوقائع واستماتتهم بين يديه خشي أن يفتتن الناس به وربما تحدثه نفسه فيشق عصـا المسـلمين . وروى أن عمر استدعاه بعد عزله إلى المدينة فعاتبه خالد . فقال له عمر :(ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك النـاس فخفت أن تفتتن بالناس)

المثنى بالعراق بعد رحيل خالد بن الوليد .النصـف الأول من سنة١٣ هـ (آذار مارس - آب أغسـطس سـنة ٦٣٤م).

-لم يكن خالد بن الوليد مطمئنا على حالة العراق بعد أن نقص عدد الجيش فأرسل المرضى والنساء والأطفال إلى بلادهم .وبذل المثنى ما في وسعه بعد رحيل خالد عنه لتقوية ما بينه وبين الفرس من جهة العاصمة وقد تولى أمر الفرس بعد مسير خالد بقليل شهر براز بن أردشير بـن شـهريار سابور ففكر في طرد المسلمين فجند جيشا قويا مؤلفا مـن

١٠,٠٠٠مقاتل تحت قيادة هرمز جاذويه وخرج المثنى من الحيرة نحوه وكان عدد جيشه أقل كثيرا من جيش الفـرس وعلى مجنبتيه المعنى ومسعود أخواه فأقام ببابل وأقبل هرمز نحوه.

ولما كان ملك الفرس واثقا من النصر، أرسل إلـى المثنى كتابا قبيحا قال فيه:

(إني بعثت إليكم جندا من وحش أهل فارس، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم)

فكتب إليه المثنى:

(إنما أنت أحد رجلين، إما باغ فذلك شر لك وخيـر لنا، وإما كاذب فأعظم الكاذبين فضيحة عند اللّه وعند الناس الملوك .وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنمـا اضـطررتم إليهم فالحمد للّه الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير)

موقعة بابل صيف سنة١٣ هـ - سنة ٦٣٤ م.

-وبعد أن أرسل المثنى هذا الرد إلى شهر براز زحف للقاء هرمز ببابل تاركا بالحيرة قوة صغيرة فاقتتلوا قتالا شديدا وكان على جيش الفرس فيل كبير يفرق جموع المسلمين فأحاط به المثنى ومعه ناس وتمكنوا من قتله. فانهزم الفرس وتبعهم جيش المثنى إلى أبواب المدائن (عاصمة الفرس) يقتلونهم .وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيب السعدي وكان عبدة قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتى شهد موقعة بابل، فلما آيسته رجع إلى البادية فقال من قصيدة له:

هل حبل خولة بعد البين موصول ** أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

للأحبة أيام تذكرها وللنوى **قبل يوم البين تأويل

حلت خويلة في حي عهدتهم ** دون المدائن فيها الديك والفيل

يقارعون رؤوس العجم ضاحية ** منهم فوارس لا عزل ولا ميل

وقال الفرزدق يعدد بيوتات بكر بن ** وائل وذكر المثنى وقتله الفيل

وبيت المثنى قاتل الفيل عنوة ** ببابل إذ في فارس ملك بابل

المثنى يطلب النجدة من أبي بكر.

-لما انهزم هرمز جاذويه قتل الجند ملكهـم شـهر براز واختلف أهل فارس وبقي ما دون دجلة بيـد المثنـى فاضطر أن يحمي حدودا شاسعة لم تكن جنوده تكفي لحمايتها ثم اجتمعت الفرس على ابنة كسرى واسمها (دخـت زنـان لكنها ما لبثت أن خلعت وتولى الملك سابور بن شهر براز) إلا أنه قتل وملكت (آزرمي دخت)، وهذا الخلاف والغدر أديا إلى إضعاف السلطة الحاكمة في فارس ولم يكن هناك مـا يخشاه المثنى كثيرا ولكنه على كل حال كان في حاجة إلـى حماية الحدود كما قلنا .فكتب إلى أبي بكر يستمده ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين لأنهم أنشط في القتال من غيرهم .فلما أبطأ خبر أبي بكـر علـى المثنـى استخلف على المسلمين بشير بن الخصاصية وسـار إلـى

المدينة إلى أبي بكر فلما قدم المدينة وجد أبا بكر مريضـا فاستدعى أبو بكر عمر وقال له:

(إني لأرجو أن أموت يومي هذا" وذلك يوم الاثنين " وإذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب النـاس مـع المثنـى ولا يشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكـم، وقد رأيتني متوفى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسـلم ومـا صنعت وما أصيب الخلق بمثله .وباللّه لو أني أني عن أمر اللّه وأمر رسوله لخذلنا ولعقبنا فاضطرمت المدينة نارا، وإذا فتح اللّه على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العـراق فإنهم أهله وولاة أمره وحده وأهل الدراوة بهـم والجـراءة عليهم)

وقال عمر متأثرا برقة كلام أبي بكر وهـو علـى فراش الموت :(قد علم أبو بكر أنه يسوءني أن أؤمر خالـدا فلهذا أمرني أن أرد أصحاب خالد وترك ذكره معهم)

ومات أبو بكر ليلا فدفنه عمر ودعـا النـاس مـع المثنى.

وفاة أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه ٢٢ جمادى الآخرة سنة١٣ هـ (٢٣آب أغسطس سنة ٦٣٤ م)

-توفي أبو بكر رضي اللّه عنه لثمان بقـين مـن جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء وهو ابـن ثلاث وستين سنة، وكان قد سمه اليهود في أرز وقيل فـي حريرة وهي الحساء، فأكل هو والحارث بنكلادة وقال لأبـي بكر أكلنا طعاما مسموما سم سنة فماتا بعده بسنة، وقيل إنه اغتسل وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج إلى الصلاة فأمر عمر أن يصلي بالناس.

ولما مرض قال له الناس ألا ندعو الطبيب؟ فقـال : أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد، فعلموا مراده وسكتوا عنه ثم مات.

وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشـر ليـال، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنـه عبـد الرحمن وأن يكفن في ثوبيه ويشتري معهما ثـوب ثالـث . وقال :الحي أحوج إلى الجديد من الميت إنما هـو للمهلـة والصديد .غسلت أبا بكر زوجته أسماء ثم خرجت فسألت من

حضرها من المهاجرين فقالت إني صائمة وهذا يوم شـديد البرد فهل علي غسل؟ قالوا لا.

وقد روي أنه اغتسل في يوم بارد فحم فمـن ذلـك يتبين أن الجو كان باردا في هذه الأيام فإنـه حـم بسـبب استحمامه في يوم بارد .كذلك غسل في يوم بـارد؛ لـذلك نرجح سبب وفاته كان تأثره بالبرد لا بسبب السم الذي قيل إن اليهود دسوه له في الحساء؛ لأن حادثة السم المزعومـة كانت قبل وفاته بسنة .ودفن ليلة وفاته وصلى عليه عمر بن الخطاب وكبر عليه أربعا في مسجد رسول اللّه صلى اللّـه عليه وسلم بين القبر والمنبر، ودخل قبره ابنه عبد الـرحمن وعمر وعثمان وطلحة وجعل رأسه عند كتفي النبي صـلى اللّه عليه وسلم وألصقوا لحده بلحد النبي صلى اللّـه عليـه وسلم وجعل قبره مثل قبره مسطحا وناحت عليـه عائشـة والنساء فنهاهن عن البكاء عمر فأبين فقال لهشام بن الوليـد ادخل فأخرج علي ابنة أبي قحافة .فأخرج إليه أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر فعلاها بالدرة (السوط) ضـربات فتفرق النوح حين سمعن ذلك .وكان آخر ما تكلم به (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وكانت عائشة رضي اللّه عنهـا

تمرضه.

أبو بكر يستشير أصحابه في عمر

-عقد أبو بكر في مرضه الذي توفي فيه لعمر بـن الخطاب عقد الخلافة من بعده، ولما أراد العقد له دعا عبـد الرحمن بن عوف .فقال :أخبرني عن عمر .فقال يا خليفـة رسول اللّه :هو واللّه أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكـن فيه غلاظة .فقال أبو بكر :ذلك لأنه يراني رقيقا ولو أفضـى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه .ويا أبا محمد قد رمقته فرأيتني إذا غضبت على الرجل في الشيء، أراني الرضـا عنه، وإذا لنت أراني الشدة عليه، لا تذكر يا أبا محمد ممـا قلت لك شيئا .قال :نعم.

ثم دعا عثمان بن عفان، فقال :يا أبا عبد اللّه أخبرني عن عمر .قال :أنت أخبر به .فقال أبو بكر :علي ذلك يا أبا عبد الرحمن .قال :اللّهم علمي به أن سـريرته خيـر مـن علانيته، وأن ليس فينا مثله.

قال أبو بكر :يا أبا عبد اللّه لا تذكر مما ذكرت لك شيئا .قال :أفعل .فقال أبو بكر :لو تركته ما عـدوتك ومـا

أدري لعله تاركه، والخيرة له أن لا يلي من أموركم شـيئا ولوددت أني كنت خلوا من أموركم، وأني كنت فيمن مضى من سلفكم .يا أبا عبد اللّه لا تذكر مما قلت لك من أمر عمر، ولا مما دعوتك له شيئا.

ودخل على أبي بكر طلحة بن عبيد اللّـه .فقـال : استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى النـاس منـه وأنت معه، فكيف إذا خلا بهم، وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك؟ فقال أبو بكر :وكان مضطجعا أجلسوني .فأجلسوه . فقال لطلحة :(أباللّه تفرقني أو باللّه تخوفني، إذا لقيت اللّـه ربي فساءلني قلت :استخلفت على أهلك خير أهلك؟).

وأشرف أبو بكر على الناس من حظيرته وأسـماء بنت عميس ممسكته موشومة اليدين وهو يقول :

(أترضون بمن أستخلف عليكم فإني واللّه ما ألـوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا فقالوا سمعنا وأطعنا).

قال الواقدي :دعا أبو بكر عثمان خاليا .فقـال لـه أكتب :(بسم اللّه الرحمن الرحيم .هذا ما عهد به أبو بكر بن

أبي قحافة إلى المسلمين .أما بعد) ثم أغمي عليه فذهب عنه .
فكتب عثمان :(أما بعد فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب
ولم آلكم خيرا) ثم أفاق أبو بكر فقال (اقرأ علي فقرأ عليـه
فكبر أبو بكر وقال) :

(أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشـيتي)
قال نعم .قال (جزاك اللّه خيرا عن الإسلام وأهله وأقرها أبو
بكر رضي اللّه عنه من هذا الموضع .فأبو بكر كان يـرى
ويعتقد أن عمر بن الخطاب خير من يتولى الخلافة بعده مع
شدته .والحقيقة أنه كان كذلك).

وصية أبي بكر لعمر بن الخطاب.

-ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له:

(إني قد استخلفتك على أصحاب رسول اللّه صـلى
اللّه عليه وسلم) وأوصاه بتقوى اللّه ثم قال:

(يا عمر إن للّه حقا بالليل ولا يقبله بالنهار، وحقـا
بالنهار ولا يقبله بالليل وأنه لا يقبـل نافلـة حتـى تـؤدي
الفريضة .ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه

يوم القيامة باتباعهم الحق، وثقله عليهم وحـق لميـزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلا .ألم تر يا عمر إنمـا خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم .وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا .ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء .ليكون المؤمن راغبا راهبا، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على اللّه ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه .ألم تر يا عمر إنما ذكر اللّه أهل النـار بأسـوأ أعمالهم .فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أمون منهم وإنـه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيئ فإذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم، فإذا حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من المـوت ولست بمعجزة)

خطبة علي في تأبين أبي بكر.

-لما سمع علي رضي اللّه عنه خبر وفاة أبي بكـر جاء باكيا مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وهو يقول:

رحمك اللّه يا أبا بكر كنت واللّه أول القوم إسلاما،

وأخلقهم إيمانا وأشدهم يقينا، وأعظمهم غنى، وأحفظهم على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأحدبهم علـى الإسـلام، وأحماهم عن أهله، وأنسبهم برسول اللّـه خلقـا، وفضـلا، وهديا، وصمتا، فجزاك اللّه عن الإسلام، وعن رسول اللّه، وعن المسلمين خيرا، صدقت رسول اللّه حين كذبه النـاس وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وسماك اللّه في كتابه صديقا .فقال (والذي جاءك بالصدق وصدق به) يريد محمدا ويريدك .كنت واللّه للإسلام حصنا، وللكافرين ناكبا، لم تضال حجتك ولم تضعف بصيرتك، ولم تجـبن نفسـك كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ضعيفا في بدنك، قويا في دينك، متواضعا في نفسك، عظيما عند اللّه، جليلا فـي الأرض كبيرا عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى، فالضعيف عندك قوي والقوي عندك ضعيف، حتـى تأخذ الحق من القوي وتعطيه للضعيف، فلا حرمنـا اللّـه أجرك، ولا أضلنا بعدك.

خطبة ابنته عائشة في تأبينه.

-نضر اللّه يا أبت وجهك، وشكر لك صالح سعيك،

فلقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها، وللآخرة معزا بإقبالـك عليها، ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم رزؤك، وأكبر الأحداث بعده فقدك، إن كتاب اللّه عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض، وأنا منتجزة من اللّه موعده فيك بالصبر عنك، ومستعينة كثرة الاستغفار لك، فسلم اللّه عليك، توديع غير قالية لحياتك، ولا زارية علـى القضاء فيك.

اعتراف أبي بكر.

-قال أبو بكر :إني لا آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت لو أني تركتهن .وثلاث تـركتهن وددت لو أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت عنهن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

فأما الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قـد غلقـوه علـى الحرب، ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمى[٨١] وأني

---

[٨١] واسمه إياس بن عبد ياليل .والسبب الذي دعاه أبا بكر إلى حرقه وهو أنه جاء إليه فقال أعني بالسلاح أقاتل به أهل الردة فأعطاه سلاحاً وأمره إمرة فخالف إلى

كنت قتلته سريحا أو خليته نجيحا .ووددت أني يوم سـقيفة بني ساعدة كنت قد قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين (يريد عمر وأبا عبيدة) فكان أحدهما أميرا وكنت وزيرا.

أما اللاتي تركتهن فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيرا كنت ضربت عنقه فإنه تخيل إلي أنه لا يرى شرا إلا أعان عليه .ووددت أني حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذي القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد، أو وددت أني كنـت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهـت عمـر بـن الخطاب إلى العراق فكنت بسطت يدي كلتيهما في سبيل اللّه ومد يديه.

ووددت أني كنت سألت رسول اللّه صلى اللّه عليه

المسلمين وخرج حتى نزل بالجواء وبعث نجبة بن أبي الميثاء من بني الشريد وأمره بالمسلمين فشن الغارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن فبلغ ذلك أبا بكر فأرسل إلى طريفة بن حاجز فأمره أن يجمع له ويسير إليه وبعث إليه عبد اللّه بن قيس الجاسي عوناً غنهضا إليه وطلباه فلاذ منهما ثم لقياه على الجواء فاقتتلوا وقتل نجبة وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسره ثم بعث به إلى أبي بكر .فلما قدم أمر أبو بكر أن توقد له نار في مصلى المدينة ثم رمى به مقموطاً .فهذا الذب ندم أبو بكر على حرقه وود لو قتله أو خلى سبيله.

وسلم لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد، ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب، ووددت أني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فإن في نفسي منهما شيئا.

عمل أبي بكر ومنزله مدة خلافته

-كان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسلمين تاجرا وكان منزله بالسنح عند زوجته حبيبة (والسنح من ضواحي المدينة) ثم تحول إلى المدينة بعدما بويع له بستة أشهر وكان يغدو على رجليه إلى المدينة وربما ركب على فرس وعليه إزار ورداء ممشق فيوافي المدينة، فيصلي الصلوات بالناس فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح، فكـان إذا حضـر صلى بالناس وإذا لـم يحضـر صـلى بهـم عمـر بـن الخطاب،فكان يقيم يوم الجمعة صدر النهار بالسنح يصـبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقدر يوم الجمعة فيجمع الناس وكان رجلا تاجرا، فكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتـاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما كفيها فرعيت له، وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي (الآن لا تحلب لنا منـائح دارنا) فسمعها أبو بكر فقال (بلى لعمري لأحلبنها لكم وإني

لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه من خلق كنت عليه) فكان يحلب لهم.

ثم نظر أبو بكر في أمره فقال (لا واللّه ما تصلح أمور الناس التجارة وما يصلحهم إلا التفرغ لهم والنظر في شأنهم ولا بد لعيالي مما يصلحهم) فترك التجارة وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوما بيوم ويحج ويعتمر؛ وكان الذي فرضوا له في كل سنة ٦٠٠٠ درهم فلما حضرته الوفاة؛ قال (ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أصيب من هذا المال شيئا، وإن أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم) فدفع ذلك إلى عمر ودفع إليه بعيرا وعبدا وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم .فقال عمر : (لقد أتعب من بعده)

وحسبوا ما أنفقه على أهله من بيت المال فوجدوه ٨٠٠٠ درهم في ولايته وكان يوزع الصدقات على الفقراء وعلى تجهيز الجيوش .كذلك كان يوزع غنائم الحرب على الناس حال وصولها أو في صباح اليوم التالي ولم يكن له حرس يحرسونه وكان يستشير عمر بن الخطاب.

بيت مال المسلمين.

-كان لأبي بكر الصديق بيت مال بالسنح معـروف ليس يحرسه أحد فقيل له :يا خليفة رسول اللّه ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ فقال :لا يخاف عليه .فقيل له :لـم؟ قال :عليه قفل .وكان يعطي ما فيه حتى لا يبقى فيه شيء . فلما تحول أبو بكر إلى المدينة حوله فجعل بيت مالـه فـي الدار التي كان فيها وكان يسوي بين الناس في القسم :الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير فيه سواء.

ولما توفي ودفن دعا عمر بن الخطاب الأمناء ودخل بهم بيت المال ومعه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه دينارا ولا درهما فترحموا على أبي بكر .وكان بالمدينـة وزان علـى عهـد رسول اللّه وكان يزن ما كان عند أبي بكر من مال فسـئل الوزان :كم بلغ ذلك المال الذي ورد على أبي بكر؟ فقـال : مائتي ألف.

حج أبي بكر.

-استعمل أبو بكر على الحج سنة١١ هـ عمر بـن

الخطاب، ثم اعتمر أبو بكر في رجب سنة١٢ هـ، ثم رجع إلى المدينة .فلما كان وقت الحج سنة١٢ هـ حج أبو بكـر بالناس تلك السنة وأفرد الحج واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

جمع القرآن.

-كان أبو بكر الصديق أعلم الصحابة بالقرآن، لأن رسول اللّه قدمه إماما للصلاة بالصحابة مع قوله (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب اللّه وقال لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره).

ولما رأى كثرة من قتل من كبار الصحابة باليمامـة أمر بجمع القرآن من أفواه الرجال، وجريد النخل والجلود، وترك ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر رضي اللّه عنها زوجة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم[٨٢]

جاء في صحيح البخاري عن زيد بن ثابـت قـال : (أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر .فقال :إن

---

[٨٢] جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد - رواه البخاري.

عمر أتاني فقال :إن القتل قد استحر يوم اليمامـة بالنـاس، وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيـذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه، وإني لأرى أن يجمع القرآن . قال أبو بكر :فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؟ فقال عمر :هو واللّه خير .فلم يـزل عمر يراجعني فيه حتى شرح اللّه لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر .قال زيد :وعمر عنده جالس لا يتكلم .فقال أبـو بكر :إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتـب الـوحي لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فتتبع القرآن فأجمعه .فواللّه لو كلفني نقل جبل ما كان أثقل علي مما كلفني به من جمع القرآن .فقلت :كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول اللّه صـلى اللّه عليه وسلم؟ فقال أبو بكر :هو واللّـه خيـر .فلـم أزل أراجعه حتى شرح اللّه صدري للذي شرح صدر أبي بكـر وعمر .فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتـين مـع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره} لقد جاءكم رسول من أنفسكم {إلى آخرها .فكانت الصحف التي فيها القرآن عنـد أبي بكر حتى توفاه اللّه ثم عند عمر حتى توفاه اللّه ثم عند

حفصة بنت عمر رضي اللّه عنها)

قضاته وكتابه وعماله

-لما ولي أبو بكر قال أبو عبيدة :أنا أكفيـك بيـت المال .وقال له عمر :أنا أكفيك القضاء فمكث عمر سـنة لا يأتيه رجلان.

وكان يكتب له علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وعثمان بن عفان، فإن غابوا كان يكتب له من حضر.

وكان عامله على مكة (عتاب بن أسيد :(وقد أسـلم عتاب يوم الفتح، واستعمله رسول اللّه علـى مكـة حـين انصرف عنه بعد الفتح وسنه يومئذ عشرون سنة .قيل إنـه توفي في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر .وكان رجلا صالحا فاضلا.

وكان على الطائف (عثمان بن أبي العاص) استعمله رسول اللّه على الطائف وأقره أبو بكر وعمر رضي اللّـه عنهما .روى له عن رسول اللّه تسعة أحاديث .روى مسـلم ثلاثة منها، واستعمله عمر على عمان والبحرين ثـم نـزل

البصرة .توفي في خلافة معاوية، وله عقب كثير أشراف.

وكان على صنعاء (المهاجر بن أمية (وهو أخـو أم سلمة أم المؤمنين .وله في قتال المرتدين باليمن آثار كثيرة مر ذكرها .

وكان على حضرموت (زياد بن لبيد الأنصاري) أقام مع رسول اللّه بمكة حتى هاجر فكان يقال لـه مهـاجري أنصاري .شهد العقبة وبدرا وأحدا، والخندق والمشاهد كلها مع رسول اللّه، واستعمله رسول اللّه على حضرموت.

وعلى خولان[83] (يعلى بن أمية) ويقال له يعلى بن منية وهي أمه، أسلم يوم فتح مكة وشهد حنينـا والطـائف وتبوك مع رسول اللّه، روى له عن رسول اللّه ٢٨ حديثا . اتفق البخاري ومسلم على ثلاث منها وقتل بصفين سنة ٣٧ هـ .

وعلى زبيد ورمع[84] (أبو موسى الأشعري) قدم على رسول اللّه بمكة قبل هجرته إلى المدينة فأسلم، ثم هاجر إلى

---

[83] خولان :مخلاف من مخاليف اليمن.

[84] زبيد :واد باليمن ورمع :موضع باليمن وقيل هو جبل باليمن.

الحبشة ثم هاجر إلى رسول اللّه مع أصحاب السفينتين بعـد فتح خيبر، فأسهم له منها ولم يسهم منها لأحد غـاب عـن فتحها غيره .وكان حسن الصوت، استعمله رسول اللّه على زبيد، وعدن، وساحل اليمن .روي له عن رسول اللّه ٣٦٠ حديثا .اتفق البخاري ومسلم منها على ٥٠ وانفرد البخاري بخمسة عشر .توفي بمكة، وقيل بالكوفة سنة٥٠ هـ وهو ابن ٦٣سنة.

وعلى الجند (معاذ بن جبل) كان معاذا فقيها فاضلا صالحا .أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة مع السـبعين مـن الأنصار ثم شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلهـا مـع رسول اللّه، روي له عن رسول اللّـه ١٥٧ حـديثا اتفـق البخاري ومسلم على حديثين منها، وانفرد البخاري بثلاثـة ومسلم بحديث .توفي في عمواس بالشام سنة١٨ هـ وهـو ابن ٣٣ سنة وهو من الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه، أرسله رسول اللّه إلى اليمن يدعوه إلى الإسلام وشرائعه .وهو أحد الذين كانوا يفتون على عهد رسول اللّه.

وعلى البحرين (العلاء بن الحضرمي) ولاه النبـي صلى اللّه عليه وسلم البحرين وتوفي النبي صلى اللّه عليـه

وسلم وهو عليها فأقره أبو بكر ثم عمر .توفي سنة ١٤ واليا عليها، وكان مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمـات قـالهن . وكان له أثر عظيم في قتال أهل الردة في البحرين كما تقدم.

وبعث (جرير بن عبد اللّه) إلى نجران .روي له عن رسول اللّه ١٠٠ حديث اتفق البخاري ومسلم منهـا علـى ثمانية وانفرد البخاري بحديث ومسلم بستة .قدم على النبـي صلى اللّه عليه وسلم سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان فبايعه وأسلم .وكان عمر بن الخطاب يقول (جرير يوسـف هذه الأمة) لحسنه وكان طويلا يصل إلى سنام البعير يخضب لحيته بزعفران بالليل ويغسلها إذا أصبح، واعتـزل عليـا ومعاوية وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى توفي سنة٥٤ هـ .

وبعث (عبد اللّه بن ثوب) إلى جرش[٨٥] وهو عبـد اللّه بن ثوب أبو مسلم الخولاني من كبار التـابعين وكـان فاضلا ناسكا له فضائل كثيرة أسلم قبل وفاة النبي صلى اللّه عليه وسلم .بعث الأسود بن قيس بن ذي الخمار الذي تنبـأ باليمن إلى أبي مسلم فلما جاءه قال :أتشهد أني رسول اللّه؟

---

[٨٥] جرش :من مخاليف اليمن جهة مكة.

قال :ما أسمع .قال :أتشهد أن محمدا رسول اللّه؟ قال :نعم . فرد ذلك عليه وفي كل مرة يقول مثل قوله الأول فأمر بـه فألقي في نار عظيمة فلم تضره، فقيل له أنفيه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك .قال فأمره بالرحيل فأتى المدينة وقد قبض النبي صلى اللّه عليه وسلم واستخلف أبو بكر فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد وبصر به عمر بن الخطاب فقام إليـه . فقال :ممن الرجل؟ قال :من أهل اليمن .قال :ما فعل الرجل الذي أحرقه الكذاب بالنار؟ قال :ذاك عبد اللّه بن ثوب .قال : أنشدك اللّه أنت هو؟ قال :اللّهم نعم .فاعتنقه عمر وبكى ثـم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر وقال :الحمد للّه الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد من فعل به ما فعل بإبراهيم خليل اللّه صلى اللّه عليه وسلم" أسد الغابة."

وبعث (عياض بن غنم) إلى دومة الجنـدل .أسـلم عياض قبل الحديبية وشهدها، وكان صالحا فاضلا جـوادا . وكان يسمى (زاد الركاب) يطعم الناس زاده فإذا نفد الـزاد نحر لهم بعيره .توفي بالشام سنة٢٠ هـ وهو ابن ٦٠ سنة.

وكان بالشام (أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بـن حسنة) قديما وأخواه لأمه جنادة وجابر .هاجروا إلى الحبشة

ثم إلى المدينة .توفي في طاعون عمواس سنة١٨ هـ ولـه ٦٧سنة .أصيب هو وأبو عبيدة رضي اللّه عنهما في يـوم أحد.

وكان بالشام أيضا عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان .وكان يقال ليزيد يزيد الخير .أسلم يوم الفتح وشـهد حنينا وأعطاه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ١٠٠ بعيـر وأربعين أوقية يومئذ .فلما اسـتخلف عمـر ولاه فلسـطين وناحيتها .مات في طاعون عمواس سنة١٨ هـ.

وكان على العراق المثنى بن حارثة الشيباني.

خاتم أبي بكر

-كان نقش خاتمه :(نعم القادر اللّه)

حكم أبي بكر وكلماته

١- احرص على الموت توهب لك الحياة.

٢- إذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشـورة ولا تحزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك.

٣- إذا فاتك خير فأدركه وإن أدركك فاسبقه.

٤- أربع من كن فيه كان من خيار عباد اللّه: من فرح بالتائب، واستغفر للمذنب، ودعا المدبر، وأعان المحسن.

٥- أصلح نفسك يصلح لك الناس.

٦- أكيس الكيس التقوى، وأحمق الحمق الفجور، وأصدق الصدق الأمانة، وأكذب الكذب الخيانة.

٧- إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق.

٨- إن اللّه قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغبا راهبا.

٩- إن اللّه يرى من باطنك ما يرى من ظاهرك.

١٠- إن العبد إذا دخله العجب بشيء من زينة الدنيا مقته اللّه تعالى حتى يفارق تلك الزينة.

١١- إن عليك من اللّه عيونا تراك.

١٢- إن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا.

١٣- إن كل من لم يهده اللّه ضال .وكل من لم يعافه اللّه مبتلي .وكل من لم يعنه اللّه مخذول .فمن هدى اللّه كان مهتديا .ومن أضله اللّه كان ضالا.

١٤- ثلاث من كن فيه كن عليه :البغـي والنكـث والمكر.

١٥- حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقـيلا، وحث لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا.

١٦- خير الخصلتين لك أبغضهما إليك.

١٧- ذل قوم أسندوا رأيهم إلى امرأة.

١٨- رحم اللّه أمرأ أعان أخاه بنفسه.

١٩- صنائع المعروف تقي مصارع السوء.

٢٠- لا خير في خير بعده نار، ولا شر في شر بعده الجنة.

٢١- لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجـر لمـن لا حسبة له، ولا عمل لمن نية له.

٢٢- لا يكونن قولك لغوا في عفو ولا عقوبة.

٢٣- ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل .

٢٤- ليست مع العزاء مصيبة.

٢٥- الموت أهون مما بعده وأشد مما قبله.

وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول:

٢٦- (هذا الذي أوردني الموارد)

٢٧- قال رجل لأبي بكر رضي اللّه عنه (واللّه لأسبنك سبا يدخل القبر معك)، فقال (معك يدخل لا معي):

هذه بعض كلمات أبي بكر الصديق التـي عثرنـا عليها .ومع ذلك فإنه كان قليل الكلام، طويل الصمت، كثير العبادة .كذلك لم يرو عنه من الأحاديث إلا ٤٢ حديثا مع تقدم صحبته وملازمته لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .وعندي أن ذلك لإيثاره الصمت وشدة الاحتياط، فإنه كان يمسك لسانه

ويقول :(هذا الذي أوردني الموارد) فهل يعتبر بذلك الـ ذين يؤثرون الكلام على الصمت والقول على العمل؟؟

خاتمة في حياة خالد بن الوليد (سيف اللّه)

-خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمـرو بن العاص بن مخزوم، أبو سليمان وقيل أبو الوليد .أمه لبابة الصغرى وهي بنت الحارث بن حزن الهلالية وهي أخـت ميمونة بنت الحارث زوج رسول اللّه وأخت لبابة الكبـرى زوج العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى اللّه عليه وسلم وهو ابن خالة أولاد العباس بن عبد المطلب الذين من لبابة.

هو البطل المشهور والفـارس المـأثور .صـاحب الفتوحات العظيمة والغزوات الكثيرة، وأشهر الفاتحين فـي الإسلام.

كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكان إليه القبة وأعنة الخيل في الجاهلية .أما القبة فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش وأما الأعنة فإنه كان المقدم على خيل قريش في الحرب أي أنه كان قائد فرسانهم.

حارب المسلمين في غزوة أحد قبل إسلامه .ولمـا خالف الرماة أمر رسول اللّه وبرحوا مكـانهم طمعـا فـي

الغنيمة، ورأى خالد خلاء الجبل الذي كان فيه الرماة وقلـة أهله أتى من خاف المسلمين وكر عليهم بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فوقع الاختلاط فيهم إلا أن كفار قـريش لـم يجنوا ثمار انتصارهم فلم يحاولوا الهجوم على المدينة بـل قفلوا راجعين إلى مكة.

وكان خالد من الذين يناوشون المسلمين هو وعمرو بن العاص غي غزوة الخندق وكان قائدا لفرسان قريش في الحديبية.

إسلامه

-كان خبر إسلام خالد أن عمرو بن العاص لما عاد من الحبشة بعد مقابلة النجاشي لقي خالد بن الوليد وهو مقبل من مكة .قال عمرو بن العاص :(فقلت له أين يا أبا سليمان؟ قال واللّه لقد استقام الميسم" أي تبين الطريق وظهر الأمـر " وأن الرجل لنبي .أذهب واللّه فأسلم فحتى متى؟ قلت :واللّه ما جئت إلا لأسلم فقدمنا المدينة على رسول اللّه فتقدم خالد بن الوليد)

قدم خالد هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحـة

العبدري على رسول اللّه فلما رآهم صلى اللّه عليه وسلم قال لأصحابه (رمتكم مكة بأفلاذ كبدها) وذلك لرفعة شأنهم فـي قريش.

قال خالد بن الوليد (لما أراد اللّه عز وجل بي مـا أراد من الخير، قذف في قلبي الإسلام وحضر لي رشـدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء وأن محمدا يظهر .فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله وكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابا فإذا فيه:

"بسم اللّه الرحمن الرحيم .أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك، أو مثل الإسـلام يجهله أحد؟ قد سألني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عنك . فقال أين خالد؟ فقلت يأتي اللّه به .فقال :مـا مثلـه يجهـل الإسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشـركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره .فاستدرك يا أخي قد فاتك من مواطن صالحة."

فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالة رسول اللّه صلى اللّه عليـه وسـلم، ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة .فلما أجمعت على الخروج إلى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت :يا أبا وهب أما ترى أن محمدا ظهر على العرب والعجم؟ فلو قدمنا عليه واتبعناه فإن شرفه شرف لنا؟ فقال :لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا .فقلت هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر .فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان .قلت فاكتم ذكر ما قلت لك .قال لا أذكره .ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبـي . قلت هذا لي صديق فأردت أن أذكر له .ثم ذكرت قتل أبيـه طلحة وعمه عثمان وإخوته الأربعـة :مسـافع والجـلاس والحارث وكلاب، فإنهم قتلوا كلهم يومئذ يوم أحد فكرهت أن أذكر له .ثم قلت له :إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحـر لـو صب فيه ذنوب من الماء لخرج .ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة وواعدني إن سبقني أقام بمحل كذا وإن سبقته إليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فعـدونا حتى انتهينا إلى الهدة" اسم محل "فوجدنا عمرو بن العـاص

بها .فقال :مرحبا بالقوم فقلنا وبك، قال أين مسيركم؟ قلنـا الدخول في الإسلام فقال :وذاك الذي أقدمني)

فوصلوا المدينة وقال خالد (فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فلقيت أخـي فقال أسرع فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قـد سـر بقدومكم وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فأطلعت عليه فمـا زال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يبتسم حتى وقفت عليه . فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت :إنـي أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه قال" :الحمد للّه الذي هداك، وقد كنت أرى لك عقلا رجوت أل يسـلمك إلا إلـى خير"، قلت :يا رسول اللّه ادع اللّه يغفر تلك المواطن التـي كنت أشهدها عليك .فقال صلى اللّه عليه وسـلم" :الإسـلام يجب ما كان قبله "وتقدم عثمان بن طلحة وعمرو فأسلما وقد شهد رسول اللّه لخالد بالعقل كما ترى)

إن خالدا كما قلنا كان من رجال قريش المعـدودين فكان أشجعهم قلبا، عالما بفنون الحرب، فارسا مغـوارا لا يرهب الموت، ولا تهوله كثرة الجيوش لكنه مع ذلك أخفـق في محاربة رسول اللّه ولم تنفعه شجاعته ولم تفده فروسيته

لذلك كان يرى أنه في غير شيء إزاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كما اعترف بنفسه .فماذا يعمل خالد وغير خالـد أمام النبوة ورسول اللّه يمده اللّه سبحانه وتعـالى بـالقوى الظاهرة والباطنة وتقع على يديه المعجزات البـاهرة التـي دونها بطولة الأبطال وشجاعة الشجعان وعلوم الخلق كافـة ويبشره اللّه بالنصر والفتح المبين؟ وماذا يفعل وهو يـرى انتشار الإسلام ودخول الناس في دين اللّه أفواجا .وقد ألفى نفسه وحيدا كعمرو بن العاص لا يقدر على عمل شيء .هذا وقد كان رسول اللّه يعرف الرجال ويقدرهم ولـذلك كـان يرجو أن يهدي اللّه خالدا إلى الإسلام ويجعل نكايتـه مـع المسلمين على المشركين، فنصحه أخوه الوليد الذي سبقه إلى الإسلام أن يسلم فأثر فيه النصح بعد أن فكر فـي مواقفـه الماضية، وفكر في كرامته فبادر إلى الدخول في الإسـلام تكفيرا عن سيئاته وإراحة لضميره وصونا لكرامتـه، وقـد صدقت فيه فراسة رسول اللّه كما صدقت فراسته في عمـر بن الخطاب، فإن خالدا بعد أن أسلم دافع عن الإسلام دفاعا مجيدا قل أن يحدث مثله في تاريخ العالم .وقد شهد له بذلك الصحابة والأمم التي حاربها من فرس وروم واعترف لـه

علماء التاريخ بالكفاية الحربية النادرة، وصدق فيـه قـول رسول اللّه (إنه سيف من سيوف اللّه)

وقد كتب الأستاذ أوجست مولر في كتابه (الإسـلام) يصفه فقال :(لقد كان خالد من أولئك الذين كانت عبقـريتهم الحربية هي مل حياتهم الفكرية، مثل نابليون فإنه لـم يعـن بشيء غير الحرب ولم يرد أن يتعلم شيئا غير ذلك)

وهذا ما قاله خالد عن نفسه (شغلني الجهاد عن تعلم كثير من القرآن)

ومن ذا الذي يدري ماذا كان يصنعه خالد لو أنه تلقى الفنون الحربية واستعمال الأسلحة المختلفة وأساليب القيـادة وخطط الهجوم والدفاع أو لو أنه عاش في زمن انتشرت فيه الطرق المنظمة وامتدت السكك الحديديـة لنقـل الجيـوش وتموينها، في ومن اختراع التلغراف والتليفون واللاسـلكي والأسلاك الشائكة، والغازات الخانقـة، والمـدافع الكبيـرة والأساطيل العجيبة، والمفرقعات المخيفة، والطيارات التـي تلقي القنابل؟

ألا ترى أنه بمواهبه الحربية الفطرية وشجاعة قلبـه

وعقيدته الإسلامية قاد جيوش المسلمين على قلـة عـددهم وعددهم التي لم تتجاوز السيف والقوس والفـرس، فهـزم امبراطوريتين ملكتا العالم بكثرة جيوشهما ووفرة الـذخائر والمال - ألا وهما الفرس والرومان، فكانت جيوشهما تقتل وتفر أمامه من الميدان مهزومة، وكبار القادة يصرعون أو يسلمون، والمدن الحصينة تفتح أبوابها وتسلم وتخضع أمـام قوة العقيدة وصدق الإيمان والإخـلاص وعـدم الاكتـراث بمواجهة الجيوش الجرارة طمعا في الشهادة فهل تقاس هذه الشجاعة الخارقة وتلك المواهب النادرة التي اكتسحت الأمم بأي قائد من قواد الدنيا؟ اللّهم لا.

كان خالد بن الوليد موضع إعجاب أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه وحسن تقديره، فكان إذا هزم الفرس استدعاه لقتال الروم فيسير إلى الشام هو وجيشه الذي كان أطوع له من بنانه، من غير أن يذوق للراحة طعما فلا يكـاد يقـود الجيش في الميدان الآخر حتى يفتح البلاد والحصون المنيعة ويوقع الرعب في قلوب الأعداء فيستولي المسـلمون علـى بلادهم ويفر أمبراطور الروم من وجهه ويودع الشام الوداع الأخيرة كما فر وقتل قواد الفرس وعظماؤهم.

أليس من المدهش أن خالدا لم يهزم في موقعة من المواقع بل كان رائده النصر على الدوام؟ وكان العدو يخاف ويقع الرعب في قلبه بمجرد ذكر اسمه أو اقتراب جيشه . لذلك كانوا يبادرون إلى عقد الصلح معه لئلا يداهمهم بما لا قبل لهم به .وقد سأله عظيم من الروم هل أنزل اللّه عليه سيفا من السماء يحارب به الأعداء؟

كان إسلام خالد في شهر صفر بعد الحديبية، وكانت الحديبية في ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية (فبراير سنة ٦٢٨ م)

شهد خالد غزوة مؤتة، وقد كان الأمير في غزوة زيد بن حارثة واستشهد فيها زيد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فاستشهد أيضا .ثم أخذها عبد اللّه بن رواحة فقتل أيضا .ثم اتفق المسلمون على دفع الراية إلى خالد بن الوليد فأخذها وقاتل قتالا شديدا .وما زال يدافع القوم حتى انحازوا عنه .ثم ارتد بانتظام وعاد بجيش المسلمين سالما إلى المدينة، وفي هذه الغزوة سماه النبي صلى اللّه عليه وسلم سيفا من سيوف اللّه، إذ لولا تدبره وإحكامه خطة التقهقر لقضي على الجيش لقلة عدده أمام ذلك الجيش العظيم.

وشهد خالد فتح مكة، وحنينا، وفي غزوة حنين قتل امرأة فنهاه النبي صلى اللّه عليه وسلم عن قتـل النسـاء، والأولاد، والأجراء.

ثبت في صحيح البخاري عن خالد أنه قال :(اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما ثبت في يـدي إلا صـفيحة يمانية)

وولاه رسول اللّه أعنة الخيل، فكان فـي مقـدمتها، وشهد فتح مكة فأبلى فيها، وبعثه رسول اللّه إلـى العـزى (صنم (فهدمها وقال:

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت اللّه قد أهانك

وبعد أن هدم خالد العزى رجع إلى رسول اللّه فقال له :هل هدمتها؟ قال نعم .فقال له :هل رأيت شيئا؟ فقال لا . قال فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها .فرجع وهو متغيظ فلما انتهى إليها جرد سيفه فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناشرة الرأس فجعل السادان (خادم الصنم) يصيح بها قـال خالد وأخذني اقشعرار في ظهري فجعل السـادان يصـيح ويقول:

أعز شُدِي شدة لا تكذبي ** أعـز ألقـي للقنـاع وشمري.

أعز إذا لم تقتلي اليوم خالداً ** فبوئي بذنب عاجل وتنصري.

فأقبل خالد إليها بالسيف فضربها فشقها نصفين ثـم رجع إلى رسول اللّه فأخبره .فقال :(نعم تلك العزى قد أيست أن تعبد ببلادكم أبدا) ثم قال خالد :(أي رسول اللّه الحمد للّه الذي أكرمنا بك وأنقذنا من التهلكة .ولقد كنت أرى أبي يأتي إلى العزى ومعه مائة من الإبل والغنم فيذبحها للعزى ويقيم عندها ثم ينصرف إلينا مسرورا فنظرت إلى ما مات عليـه أبي وذلك الرأي الذي كان يعاش في فضله كيف خدع حتى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع) فقال رسول اللّه :(إن هذا الأمر إلى اللّه فمن ييسره للّهدى ييسر، ومـن ييسره للضلالة كان فيها)

ولا يصح لخالد مشهد مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قبل فتح مكة وأرسله رسول اللّه إلى أكيدر صـاحب دومة في رجب سنة تسع وأحضره عند رسول اللّه فصالحه

على الجزية، ورده إلى بلاده.

وأرسله رسول اللّه سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بن مذحج فقدم معه رجال منهم فأسلموا ورجعوا إلى قومهم.

وأمره أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه على قتال مسيلمة الكذاب والمرتدين باليمامة، وكان له في قتالهم الأثر العظيم كما مر ذكره في كتابنا هذا، وله الآثار المشهورة في قتال الروم بالشام، والفرس بالعراق، وهو أول من أخذ الجزية من الفرس في صلح الحيرة، وافتتح دمشق وكان في قلنسوته شعر من شعر رسول اللّه يستنصر به ويتبرك فلا يزال منصوراً.

ولما حضرت خالد الوفاة قال:

(لقد شهدت مائة زحف أو نحوها وما في بدني موضع شبر إلا وبه ضربة، أو طعنة، أو رمية، وها أنا ل أموت على فراشي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء، وما لي من عمل أرجى من لا إله إلا اللّه وأنا متترس بها)

وكان يشبه عمر بن الخطاب رضي اللّه عنـه فـي خلقه وصفته.

وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب سـنة٢١ هـ ـ ٦٤٢ - ٦٤١)م (وعمره بضع وأربعون سنة، وكانت وفاته بحمص، وقبره مشهور يزار إلى الآن في ضمن مسجد واقع خارج السور إلى الجهة الشمالية من حمص وقد اتصل بـه العمران وصار حوله لهذا العهد حي يسمى (حي سيدي خالد) كما يسمى المسجد أيضا مسجد سيدي خالد.

قال رفيق بك العظم في كتابـه (أشـهر مشـاهير الإسلام) وقد زرته مرة فوجدت عليه من المهابة والوقار ما يأخذ بمجامع القلوب التي يعرف أصحابها أقـدار الرجـال ويتأثرون بذكرى عصر أولئك الأبطال.

وقد كان لخالد أولاد كثيرون انقرضوا جميعا فـي الطاعون فلم يبق منهم أحد، وورث أيوب بن سلمة دورهـم بالمدينة.

وكان عمر يقول لما مات خالد :قد ثلم في الإسـلام ثلمة لا ترتق، ولقد ندمت على ما كان مني إليه.

ورثته أمه فقالت:

أنت خير من ألف ألف من الناس ** إذا ما كبـت وجوه الرجال

أشجاع فأنت أشجع من ليـث ** عرين حميم إلى الأشبال

أجواد فأنت أجود من سيــل ** دياس يسيل بين الجبال

ولخالد كرامات منها أنه ابتلع السم فلم يؤثر فيه كما مر ذكره، ومنها ما رواه ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عـن خيثمة قال أتى خالد بن الوليد رجل معه زق خمر .فقـال : اللّهم اجعله عسلا فصار عسلا .رحمه اللّه رحمـة واسـعة ونفعنا بذكرى حياته المملوءة عبراً، وشهامةً، وبلاء حسناً في سبيل اللّه .وسنذكر إن شاء اللّه تعالى بقية حروب خالد في خلافة عمر بن الخطاب في كتابنا (عمر بن الخطاب)

وقد أردنا بهذه الكلمة الوجيزة تذكير المسلمين بحياة هذا البطل الطائر الصيت الذي سجل فـي تـاريخ القيـادة

والبطولة صفحات ذهبية خالدة، ولا شك (أن حيـاة خالـد خالدة) في الأسفار والقلوب، وأردنا كذلك أن نصـور هـذه الشخصية البارزة بصورة جلية واضحة حتى تكون ماثلـة أمامنا باعثة للّهمم، وعبرة للمعتبرين، وقدوة يقتدي بها الأبناء في حسن البلاء، والإقدام، والصبر والإخـلاص، ورفعـة الشأن، والتمسك بالمبدأ حتى النفس الأخير، فإن بمثل هـذا القائد العظيم فتح اللّه على المسلمين فنشروا التوحيد والعقيدة الصحيحة، وقضوا على الوثنية والشرك، ووضعوا دعـائم العدل والفضل.